ثقافات الشعوب

@ketab_n
6.12.2014

@ketab_n

موكب الأشباح
حكايات شعبية من اليابان

جمع: ريتشارد غوردون سميث
ترجمة: دنيا فرحات

موكب الأشباح

حكايات شعبية من اليابان

@ketab_n

جمع:
ريتشارد غوردون سميث

ترجمة:
دنيا فرحات

كلمة
KALIMA

أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

موكب الأشباح

حكايات شعبية من اليابان

© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي
فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر

موكب الأشباح: حكايات شعبية من اليابان

© حقوق الطبع محفوظة

هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)
الطبعة الأولى 1431 هـ 2010 م

PZ8.1.G658.Anc12 2009
Gordon Smith, Richard, 1858 - 1918.
[Ancient Tales and Folklore of Japan]

موكب الأشباح: حكايات شعبية من اليابان/ جمع مونو يوكي، ريتشارد غوردون سميث؛
ترجمة دنيا فرحات. – ط.1.– أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2009.
148ص؛ 19x12.5 سم. (سلسلة ثقافات الشعوب).
تدمك: 978-9948-01-360-0
ترجمة كتاب: Ancient Tales and Folklore of Japan
1 – القصص الشعبية اليابانية. 2 – الحكايات اليابانية. أ– MO-NO-YUKI.
ب– فرحات، دنيا. جـ – العنوان.

مراجعة وتحرير: سامر أبوهواش
إخراج وتصميم: أحمد عبد الله النتان

كلمة KALIMA
info@kalima.ae
www.kalima.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+ ،
فاكس: 462 6314 2 971+

www.adach.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ ،
فاكس: 059 6336 2 971+

إن هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة) غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره وإنما تعبّر آراء الكتاب عن مؤلفها.

حقوق الترجمة العربية محفوظة لكلمة

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

Twitter: @ketab_n

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
تقديم	9
دبّوس الشعر الذهبي	11
شبح شجرة الصفصاف	25
شبح الينبوع البنفسجي	33
شبح قبر عازف الناي	43
المعبد المسكون بالأشباح في مقاطعة إينابا	54
سمكةٌ الشبوط ودرس في المثابرة	63
أساطير على لسان صياد في بحيرة بيوا في زيزي	67
السيف الخارق	77
موكب الأشباح	83
الخادم المخلص	87
وثائق الأمير هوزوكاوا القيّمة	93
حكاية كاتو ساي يمون	97
الحريق الهائل الذي تسبب به ثوب سيدة	105
حكاية أوتو فوجيتسونا	112
عنكبوتٌ وحمامتان ينقذان حياة	115
إخلاص موراكامي يوشيتيرو	122
حكاية جزر أوكي	127
رأس سيف المرأة	138
فوز يوغودايو في المعركة	145

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

هذه السلسلة

تأتي هذه السلسلة التي تجمع تراث الشعوب من الحكايات والأساطير والخرافات الشعبية، منسجمة مع الأهداف والقيم التي اختطتها لنفسها مبادرة «كلمة» منذ البداية، كمشروع رائد للترجمة في العالم العربي. تلك القيم والأهداف التي تسعى أبوظبي إلى تجسيدها، لتشيع ثقافة التسامح والحوار، وبناء جسور التواصل بين شعوب الأرض وحضاراتها ، وتعزيز العمق الثقافي الجامع بين مختلف الأعراق والجنسيات والثقافات، وجمعها تحت سقف واحد، هو سقف الثقافة والمعرفة والكلمة التي تجمع ولا تفرّق.

وليست حكايات الشعوب هذه، التي تقدّم للمرة الأولى لقرّاء العربية بمثل هذه الشمولية والكثافة والاتساع، إلا ترسيخاً لهذا المشترك الإنساني الجامع. وكأن ما اصطلحت البشرية على تسميته «عولمة» منذ عقدين من الزمان أو نيّف، كان متحقّقاً بالفعل منذ مئات بل آلاف السنين، عبر حكايات نجدها تتنقّل بحرية من أرض إلى أرض، ومن لسان إلى آخر، إذ تطرأ عليها تعديلات هنا أو هناك، لتناسب ثقافة هذا الشعب أو ذائقة تلك الأمة، أو ظروف تلك الجماعة. وفي بعض الأحيان نجد الحكاية نفسها - مع تغيير في أسماء الناس والأمكنة - تروى في أقاصي الشرق، على نحو ما تروى في

Twitter: @ketab_n

أقاصي الغرب، أو شمال الأرض أو جنوبها. فإذا كانت الحكايات تتمتع بميزة أساسية فهي قدرتها على اختراق الحدود الجغرافية والعرقية والنفسية والسياسية والدينية واللغوية، لتولد في كل مرة، وعند كل قوم من الأقوام، بصورة خاصة وفريدة، تشير إلى خصوصية الذات.

وهكذا، تبقى الحكايات سرّ هذه الأرض الواحدة، نبتتها أو لنقل زهرتها الفريدة، التي نبتت من تربتها الخصبة الواحدة، ونمت تحت سمائها الشاسعة الواحدة، لتجوب آفاق الدنيا، مبدّلة ربما أثوابها وألوانها، ولكن محتفظة دوماً بجوهرها الإنساني الفسيح والعميق.

وإننا إذ نقدّم هذه الحكايات، زهرات الأرض الفريدة هذه، في باقة واحدة ثرية الأجناس والألوان، فإيماناً منا بأننا على اختلاف ثقافاتنا وحضاراتنا، أبناء هذه الأرض الواحدة، وبأن ما ترويه جدّة ما لأحفادها في أصقاع القطب الجنوبي، من حكايات تؤكد قيم الخير والحب والعدالة والسلام، ترويه - وإن بلغة أخرى - جدة أخرى في أصقاع أخرى من الأرض، وهذا ما يجعل الحكايات الشعبية ميراثاً أصلياً للبشرية جمعاء، بقدر ما هي ملك أصلي لكلّ شعب من الشعوب وثقافة من الثقافات.

د. علي بن تميم

مدير مشروع «كلمة» للترجمة

Twitter: @ketab_n

تقديم

جميع القصص الواردة في هذا الكتاب منقولة عن مذكرات كبيرة مصوّرة دوّنتها خلال السنوات العشرين التي أمضيتها مرتحلاً في بلدان عدّة، وقد أمضيت السنوات التسع الأخيرة بأكملها تقريبًا في اليابان، أجمع أشياء ذات طابع تاريخي طبيعي للمتحف البريطاني، وأصطاد في البحر الداخلي؛ كنت أنجح أحيانًا وأفشل أحيانًا أخرى لكنني في النهاية قدّمت زهاء خمسين عنصراً جديداً لخزينة العلم، وبحسب السير إدوين راي لانكستر أضفت الكثير إلى معرفة علم الأعراق اليابانية.

من الواضح أن حياتي فرضت عليّ اتصالاً قريبًا مع الناس: الصياد والمزارع والكاهن والطبيب، والأولاد وكل من يُحتمَل أن يكون مصدرًا للمعلومات. كثيرةٌ وغريبةٌ كانت الحكايات التي سمعتها. فضّل الناشرون أن يكون في هذا الكتاب مزيجٌ من القصص عن الجبال والأشجار والأزهار والمواقع التاريخية والأساطير. وفي ما يخصّ ما جمعته في مذكراتي، لا يسعني

Twitter: @ketab_n

سوى أن أشكر الوزير السابق في طوكيو، السير إرنست ساتو، ووزيري الخارجية والزراعة ونائبيهما الذين زودوني بالكثير من رسائل التوصية، وصديقي العزيز السيد هاتوري، حاكم مقاطعة هيوغو، ومترجمي المذكرات والمخطوطات الأصلية (والتي كانت في غالبيتها مكتوبة باليابانية) وأذكر من بينهم السيد أندو، والسيد ماتسوزاكي، والسيد واتانابي. أتوجه أيضًا بالشكر إلى المترجم الفوري المخلص يوكي إيغاوا على جهوده المتواصلة لإيجاد ما أبحث عنه، وإلى الكثير من القرويين اليابانيين والصيادين الذين أحببتهم بسبب طيبتهم الطيبة ولطفهم وحسن ضيافتهم. وفي الواقع، لا يحكم الشعبَ الفاضل سوى ملك فاضل.

ر. غوردون سميث

يونيو 1908

Twitter: @ketab_n

دبوس الشعر الذهبي

في الأعالي، في مدينة سندائي[1] الشمالية، من حيث يأتي أفضل الجنود اليابانيون، عاش محاربٌ اسمه هاسونوما.

كان هاسونوما غنيّاً مضيافاً يحبّه الجميع. قبل زهاء خمسة وثلاثين عاماً، أنجبت له زوجته فتاةً جميلةً هي مولودهما الأول فأسمياها كو، أي «صغيرة» عندما تقترن باسم ولد، وكان اسمها الكامل «هاسو-كو» أي الزنبقة الصغيرة لكننا سنختصر الأمر وناديها كو.

في اليوم نفسه، كان من حسن طالع سايتو وهو أحد أصدقاء هاسونوما وهو محاربٌ أيضاً، أن وُلِدَ له ابنٌ. وبما أن الأبوين صديقان مقرّبان، فقد قرّرا أن يزوّجا ولديهما لبعضهما عندما يكبران، وملأتهما هذه الفكرة وزوجتيهما سعادة. ومن أجل تقوية الرابط بين الطفلين، أهدى سايتو هاسونوما دبوساً ذهبياً توارثته عائلته منذ زمن بعيد وقال له: «خذ يا صديقي العزيز

(1) مدينة يابانية وعاصمة محافظة مياغي، تقع في شمالي محافظة هونشو (م).

Twitter: @ketab_n

هذا الدبوس. إنه عبارة عن تذكار الخطبة من ابني الذي سأسميه كونوجو لابنتك الصغيرة كو، وكلاهما في أسبوعيهما الأولين من العمر. أتمنى أن يعيشا حياةً مديدة وسعيدة معًا».

أخذ هاسونوما الدبوس وأعطاه لزوجته لتحتفظ به، ثم شرب الأبوان نخب العروسين المستقبليين.

وبعد بضعة أشهر، أثار سايتو غضب السيد الإقطاعي فطُرِدَ من الخدمة ممّا اضطرّه إلى مغادرة سندائي مع عائلته إلى جهة غير معلومة.

بعد سبع عشرة سنة، أصبحت الآنسة كو - باستثناء فتاة واحدة هي أختها التي ولدت بعدها بعام- أجمل فتاة في سندائي كلها.

كثرٌ هم الذين تقدّموا لطلب يد الآنسة كو لكنها لم تقبل أيّاً منهم إخلاصًا للوعد الذي قطعه والدها عندما كانت طفلة. صحيح أنها لم ترَ خطيبها قط، ومن الغريب أنها لم تسمع هي أو عائلتها أي خبر عن سايتو وعائلته منذ أن غادروا سندائي منذ نحو أكثر من ست عشرة سنة، إلا أن ذلك لم يكن سببًا كافيًا لها، هي الفتاة اليابانية، لكي تكسر كلمة والدها. فبقيت الآنسة كو

Twitter: @ketab_n

مخلصةً لحبيبها المجهول، وكان الحزن ينهش قلبها على غيابه. فتعذّبت في السرّ إلى أن مرضت وبعد ثلاثة أشهر فارقت الحياة تاركةً كل من عرفها في مستنقع من الأسى وعائلتها في بحر من الشجون.

يومَ دفنِ الآنسة كو، بقيت أمها تنظر إلى جثتها حتى اللحظة الأخيرة، وتمرّر بين خصلات شعرها الناعم الدبوس الذهبي الذي كان قد أعطاه سايتو للآنسة كو بالنيابة عن ابنه كونوجو. عندما وُضِعَت الجثة في التابوت، غرزت الأم الدبّوس في شعر ابنتها وقالت لها: «يا ابنتي العزيزة، هذا الدبوس تذكارٌ من خطيبك كونوجو. فليكن وعدًا ملزمًا لروحك في موتك كما كان في حياتك، ولتنعمي بالسعادة الأبدية».

لا شك في أن والدة الآنسة كو في صلاتها هذه، كانت تعتقد أن كونوجو قد مات أيضًا وأنه لابدّ لروحيهما من أن تلتقيا. إلا أن ذلك لم يكن صحيحًا، فبعد شهرين من موت كو، عاد كونوجو البالغ من العمر ثمانية عشر عامًا إلى سندائي يبحث عن هاسونوما صديق والده.

قال له الأب: «واحسرتاه! منذ شهرين ماتت ابنتي كو، ليتك أتيت من قبل لكانت على قيد الحياة الآن، لكن لم يصلنا منك

Twitter: @ketab_n

ولا حتى رسالة، ولم نسمع أي أخبار عن والدك أو والدتك. أين ذهبتم بعد أن غادرتم هذه المدينة؟ أخبرني القصة كاملة».

فأجاب كونوجو المفجوع: «سيدي، إن خبر موت ابنتك التي طالما تمنيت الزواج بها قد أصاب قلبي بأشد الألم، فكما حالها أخلصت لها أيما إخلاص وتمنيت الزواج بها، هي التي شغلت تفكيري يومًا بعد يوم. عندما أخذ والدي العائلة وغادر سندائي، ذهب بنا إلى يادو، وبعد ذلك توجّهنا إلى جزيرة يازو في الشمال حيث خسر والدي ماله وأصابه الفقر. وقد مات على هذه الحال، وما عاشت أمي من بعده طويلاً. فأمضيت الأيام أكدّ في العمل لأجمع ما يكفيني من المال للزواج من ابنتك كو، لكن ما جمعته كان بالكاد كافيًا لدفع تكاليف رحلتي إلى سندائي. شعرت أن من واجبي أن آتي وأخبرك بما أصابني وعائلتي من بليّة».

تأثّر المحارب هاسونوما أيما تأثر بقصة كونوجو وشعر بحزنه وأساه.

فقال له: «يا ولدي، كثيرًا ما فكّرت وتساءلت إن كنت صادقًا أم لا، والآن عرفت أنك كنت مخلصًا بحقّ وأمينًا لوعد والدك. لكن كان يجدر بك أن تراسلنا، كان يجدر بك أن

Twitter: @ketab_n

تراسلنا! فعدم مراسلتك لنا دفع بي وبزوجتي للتفكير أحيانًا أنكم قد لقيتم حتفكم، لكننا تكتمنا على أفكارنا ولم نطلع كو عليها قط. اذهب إلى مقبرة العائلة، سأفتح أبوابها وأشعل عود بخور أمام مثوى كو فذلك سيفرح روحها. كانت تتوق أيما توق لعودتك حتى ماتت من توقها إلى حبك. ستبتهج روحها لمعرفة أنك عدت من أجلها».

لبّى كونوجا دعوة هاسونوما.

انحنى تبجيلاً ثلاث مرات أمام مثوى الآنسة كو وتمتم صلاةً من أجلها، ثم أشعل عود البخور ووضعه أمام مثواها.

بعد مشهد الإخلاص هذا، أخبر هاسونوما رفيقه الشاب أنه سيكون بمثابة ابن له وأن عليه أن يعيش معهم، فبإمكانه أن يسكن في الكوخ الصغير في الحديقة. في كل الأحوال، ومهما كانت تطلعاته للمستقبل، يجب أن يبقى معهم في الوقت الحاضر.

كان هذا عرضًا كريمًا ونبيلاً من المحارب، فقبله كونوجو شاكرًا وأصبح فردًا من العائلة. وبعد أسبوعين استقرّ في الكوخ الصغير في آخر الحديقة. ذهب هاسونوما وزوجته وابنتهما الآنسة كاي، بطلب من الزعيم الإقطاعي إلى مهرجان تكريم

Twitter: @ketab_n

الأجداد وهو حفل ديني يُقام في شهر مارس. وغالباً ما كان هاسونوما يقصد مقابر أجداده للصلاة في ذلك الوقت. حلّ الليل بظلامه وحان وقت العودة إلى المنزل، فوقف كونوجو أمام البوابة ينتظر عبورهم احترامًا وتقديرًا. فعبر المحارب البوابة في الطليعة تتبعه محفّة زوجته وخلفها محفّة ابنته كاي. وبعد أن عبرت هذه الأخيرة البوابة، ظنّ كونوجو أنه سمع قرقعة شيء معدني يقع. وبعد أن مرّت المحفّة التقطه من دون أن يلفت إليه انتباه أحد.

كان ذلك الدبوس الذهبي، لكن بالرغم من أن والد كونوجو قد أخبره عنه فهو لم يدرك أن هذا هو الدبوس فلم يفكّر سوى أنه دبوس الآنسة كاي. فعاد إلى كوخه الصغير، وأقفل الباب ولم يكد يغمض عينه حتى سمع الباب يدقّ. فسأل: «من بالباب؟ ماذا تريد؟». لكنه لم يلقَ جوابًا فبقي مستلقيًا على سريره وظنّ أنه أخطأ السمع. لكن ها هو الباب يطرق من جديد، طرقاً أقوى من الطرق السابقة، فقفز كونوجا من سريره وأشعل القنديل، وقال لنفسه إن لم يكن ثعلبًا أوغريراً[1] فلابد من أنها روح شريرة أتت لتزعجني.

(1) حيوان قصير القوائم يحفر مسكنه في الأرض (م).

Twitter: @ketab_n

فتح الباب، حاملاً بيد القنديل وباليد الأخرى عصًا، ونظر في ظلمة الحديقة ليذهل لرؤية آية من الجمال متجسّدةً في طيف فتاة لم ترَ عيناه أبهى منها. فسألها: «من أنتِ وماذا تريدين؟».

أجابه الطيف: «أنا الآنسة كاي شقيقة كو الصغرى. أنتَ لم ترَني من قبل لكنني رأيتك مرّات عدّة وقد أُغرِمتُ بك أيّما غرام وما عدت قادرة على التفكير بسواك. دبّوسي الذهبي الذي التقطته الليلة كنتُ قد أوقعته عمدًا ليكون حجّتي كي آتي وأدقّ بابك. يجب أن تبادلني الغرام وإلا متّ».

ارتبك المسكين كونوجو لسماعه هذه الكلمات الجريئة، وشعر أنه سيكون من الظلم بحقّ مضيفه اللطيف هاسونوما أن يستقبل ابنته الصغيرة في هذه الساعة المتأخرة من الليل في غرفته ويغازلها، فأخبرها بذلك بوضوح وصرامة.

فأجابت كاي: «إن لم تحبّني كما أحبك فسأنتقم منك وأخبر والدي أنك أحضرتني إلى هنا بهدف مغازلتي وبعد ذلك أهنتني».

مسكين كونوجو، لقد احتار أيما حيرة، وكان جلّ ما يخشاه أن تفعل الفتاة ما هدّدته بفعله، وأن يصدّقها المحارب

Twitter: @ketab_n

فيرى فيه انسانًا حقيرًا نذلاً. فما كان منه إلاّ أن انصاع لمطلب الفتاة. وراحت تزوره ليلةً بعد ليلة لمدّة شهر تقريباً، أحبها خلاله كونوجو كاي الجميلة حبّاً جمّاً. وفي ليلة كان يكلّمها فقال لها: «عزيزتي كاي، أنا لا أحبّذ سرّ حبّنا، أليس من الأفضل أن نهرب؟ فإذا طلبت من والدك أن يزوّجك لي فلابدّ من أن يكون الرفض جوابه لأنني كنت خطيب أختك».

فأجابت الآنسة كاي: «نعم، أنا أيضًا كنت أفكّر بذلك، فلنغادر هذه الليلة إلى إيشينوماكي حيث، بحسب قولك، يعيش خادمٌ مخلصٌ للمرحوم والدك اسمه كينزو».

«نعم، اسمه كينزو وفي إيشينوماكي مسكنه، فلننطلق في أسرع وقت ممكن».

وضعا بعض الثياب في حقيبة وانطلقا في الخفاء والليل يلفّهما بعتمته في تلك الساعة المتأخرة حتى وصلا إلى وجهتهما. سُرَّ كينزو لاستقبالهما وفرح باستضافة ابن سيّده المرحوم والسيدة الجميلة أفضل استضافة.

عاشا بسعادة طيلة عام، ثم في أحد الأيام قالت كاي: «يجب أن نعود إلى منزل والديّ الآن، فإن كانا غاضبين منّا في البداية

Twitter: @ketab_n

فلابدّ من أنهما تخطّيا الأمر الآن. نحن لم نراسلهما قط، فلابدّ من أنهما قلقان عليّ الآن وقد طعنا في السنّ. بلى، يجب أن نعود».

وافق كونوجو على طلب كاي فهو يشعر أنه ظلم هاسونوما بفعلته تلك.

في اليوم التالي، عادا إلى سندائي، ولم يتمكن كونوجو إلا من الشعور بالتوتر وهو يقترب من منزل المحارب. توقّفا عند البوابة الخارجية، وقالت الآنسة كاي لكونوجو: «أعتقد أنه من الأفضل لك أن تدخل وتقابل والديّ، وإن قابلاك بغضب، فأرِهما هذا الدبوس الذهبي».

استجمع كونوجو شجاعته ووقف أمام البوابة وطلب مقابلة المحارب.

وقبل أن يعود الخادم، سمع كونوجو الرجل يصرخ ويقول: «كونوجو! نعم بالتأكيد، أدخل الشاب على الفور وخرج بنفسه لاستقباله وقال له: «يا بنيّ، إن عودتك قد ملأت قلبي بالحبور، للأسف لم تكن حياتك معنا جيدة بما فيه الكفاية، لكن كان يجب أن تعلمنا بذهابك. أعتقد أنك ورثت ذلك عن والدك

Twitter: @ketab_n

وفضّلت أن تغادر من دون أن تعلمنا. لكننا نرحّب بعودتك في كل الأحوال».

دُهِشَ كونوجو لسماع هذا الكلام وأجاب: «لكن يا سيدي، لقد جئتك طالبًا السماح عن الخطأ الذي ارتكبته بحقك».

فسأله المحارب وقد علت الدهشة وجهه: «أي خطأ ارتكبت؟».

وما كان من كونوجو إلا أن أخبره قصة حبه لكاي كاملةً، من ألفها إلى يائها، وكانت علامات نفاد الصبر تظهر تدريجياً على وجه المحارب.

«لا تمازحني يا سيد، فابنتي كاي ليست موضوعًا قابلاً للمزاح والأكاذيب. فقد كانت لأكثر من سنة كمن فارقته الحياة، نزل بها مرضٌ شديدٌ اضطرّنا إلى إدخال العصيدة إلى فمها بالقوة. لم تنبس ببنت شفة وما بدت عليها أي معالم للحياة».

قال كونوجو: «لست أمزح أو أكذب، ما عليك إلاّ أن ترسل الخادم ليرى كاي في المحفّة حيث تركتها».

Twitter: @ketab_n

أرسل هاسونوما خادمه ليتحقّق من الأمر لكن هذا الأخير عاد ليقول له إنه لا محفّة ولا أحد آخر على أمام البوابة.

رأى كونوجو الحيرة والغضب على وجه المحارب فما كان منه إلا أن سحب الدبوس الذهبي من جيبه وقال: «أرأيت؟ إن كنت تعتقد أنني كاذبٌ فها هو الدبّوس الذي طلبت منّي الآنسة كاي أن أعطيك إياه!».

صاحت والدة كاي والدهشة تملأ عينيها: «يا إلهي! كيف وصل هذا الدبّوس إلى يديك؟ أنا بنفسي وضعته في تابوت كو قبل إغلاقه».

حدّق المحارب وكونوجو واحدهما بالآخر وحدّقت الوالدة بكليهما. ولم يعرف أحدٌ منهم ماذا يفكّر أو يفعل أو يقول. ويا للمفاجأة، إذا بكاي السقيمة تدخل الغرفة وقد نهضت من فراشها وكأن السقم ما زارها ولا أضناها، بل بدت آيةً في الصحة والجمال.

سأل المحارب بصوت جهوري: «كيف حصل ذلك؟ كيف تغلّبتِ على سقمك ونهضتِ من فراشك بكامل أناقتك وشعرك المسرّح وكأنك ما عرفت السقم يومًا؟».

Twitter: @ketab_n

وجاءت الإجابة: «أنا لست كاي، أنا روح كو، شاء سوء طالعي أن متّ قبل عودة كونوجو، لكنني أردت أن أعيش إلى حين عودته لذا كان عليّ أن أكون بأفضل حال وأتزوج منه، لكن روحي كانت حزينة، فاتّخذت من أختي العزيزة كاي شكلاً لها وعشت في جسمها سنةً من السعادة مع كونوجو. الآن وقد سكنت روحي، فسترقد براحة وطمأنينة».

واستدارت الفتاة نحو كونوجو وقالت له: «ثمة شرط واحد يا كونوجو، يجب أن تتزوج من شقيقتي كاي فهذه هي الضمانة الوحيدة لترقد روحي بسلام ولتشفى كاي وتتغلّب على سقمها. فهل تعدني بذلك؟».

ذُهِلَ المحارب وزوجته وكونوجو لسماع ذلك. كانت الفتاة متجسّدةً بشكل الآنسة كاي ومتّخذةً لها صوت الآنسة كو وحركاتها. وما أصدق الدليل القاطع، ذلك الدبّوس الذهبي. فالوالدة تعرفه جيدًا، وهي التي غرسته في شعر كو قبل إغلاق التابوت. ولا مجال لأن تخطئ في ذلك.

قال المحارب: «مضى على موت كو ودفنها أكثر من سنة، وقد ظهرت الآن وزرعتِ الحيرة فينا، لِم قد تريدين إرباكنا؟».

Twitter: @ketab_n

أجابت الفتاة: «سبق أن شرحتُ لك ذلك، ما استطاعت روحي أن ترقد قبل أن تحيا مع كونوجو الذي أخلص لها أيما إخلاص. الآن وقد عاشت معه، فإنها تستعدّ للراحة، ورغبتي الوحيدة هي أن أرى كونوجو يتزوج من شقيقتي».

تشاور هاسونوما وزوجته وكونوجو في ما بينهم وتوصلوا إلى أنه على كاي الزواج من كونوجو الذي لم يبدِ أي اعتراض.

بعد أن سُوِّيَت الأمـور، مدّ طيف الفتاة يده لكونوجو وقال: «هذه هي المرة الأخيرة التي تلمس فيها يد الآنسة كو. أستودعكما الله يا والديّ العزيزين، الوداع، أنا على وشك أن أموت».

ثم فقدت وعيها وبدت معالم الموت عليها وبقيت على هذه الحال لمدة نصف ساعة، في حين جلس الآخرون من حولها، لا يعرف الكلام إلى شفاههم سبيلاً، يحاولون استيعاب الأمور الغريبة العجيبة التي رأتها أعينهم وسمعتها آذانهم.

بعد انقضاء نصف الساعة، عاد الجسد إلى الحياة، ووقف وقال: «والـديّ العزيزين، لا تقلقا عليّ فأنا قد شُفيت تمامًا، لكنني لا أعرف كيف جئت من غرفتي بهذه الثياب ولا كيف

Twitter: @ketab_n

تحسّنت حالي».

انهالوا الجميع بالأسئلة على الآنسة كاي، وبدا واضحاً أنها لا تدري شيئًا عمّا حصل، ولا تعرف شيئًا عن روح كو ولا عن الدبّوس الذهبي!

بعد أسبوع، تزوّجت من كونوجو أما الدبّوس الذهبي فقد وُضِعَ في مكان مقدّس في شيوغاما تقصده الحشود للعبادة.

Twitter: @ketab_n

شبح شجرة الصفصاف

منذ نحو ألف سنة (لكن بحسب التواريخ الواردة في القصة منذ 744 سنة) أي في العام 1132، شُيّد معبد «سان جو سان جان دو» ويعني اسمه «صالة الثلاثة والثلاثين فضاء»، ويقال إن في هذا المعبد أكثر من ثلاثة وثلاثين ألف وثلاثمئة وثلاثة وثلاثين صورة للإلهة كوانون، إلهة الرحمة. قبل بناء المعبد، كانت تقبع في قرية مجاورة شجرة صفصاف عملاقة، اتخذها أولاد القرية ملعبًا لهم، يتأرجحون على أغصانها ويتسلّقون جذعها. في النهار، كان المسنّون في القرية يتفيأون في ظلالها في فصل الصيف الحار، وفي المساء، بعد الانتهاء من العمل، كثرٌ كانوا الشبان والشابات الذين يقسمون على الحبّ الأبدي تحت أغصانها، وكان الجميع يرى في هذه الشجرة خيرًا. حتى المسافر المتعب كان ينام بسلام تحت أغصانها. ولكن واحسرتاه، حتى في

Twitter: @ketab_n

تلك الأيام افتقدت قلوب الناس للرحمة تجاه الأشجار، وأعلن سكّان القرية عن نيّتهم قطع الشجرة لبناء جسر فوق النهر.

وكان في القرية مزارعٌ شاب محبوبٌ من الجميع اسمه هيتارو، وعلى غرار أجداده، عاش حياته بجوار من هذه الشجرة وقد رفض قطعها رفضًا قاطعًا.

كان يعتبر أنه من الواجب احترام هذه الشجرة، هي التي تحدّت العواصف لمئات السنين، والتي كانت للأولاد في أيام الصيف الحارة ملعبًا، وللمتعبين ملجأً وللعشّاق ملتقىً. قال هيتارو ذلك لسكان القرية وأضاف: «لن أوافق على قطع هذه الشجرة، سأعطيكم قدر ما تريدون من أشجاري لبناء الجسر، لكن دعوا شجرة الصفصاف العتيقة هذه وشأنها».

وافق سكّان القرية على اقتراح هيتارو بسرور، فهم أيضًا يحبّون سرًّا هذه الشجرة العتيقة.

فرح هيتارو ولم يتأخّر في العثور على الخشب لبناء الجسر.

وفي أحد الأيام، كان هيتارو عائدًا من عمله فرأى فتاةً بهيّةً واقفةً بالقرب من شجرة الصفصاف.

Twitter: @ketab_n

وجد هيتارو نفسه ينحني ملقيًا التحيّة على الفتاة، وهي بدورها ردّت التحيّة. تكلّما معًا عن الشجرة، عن عمرها وروعتها. وفي الواقع بدا كلاهما منجذبًا للآخر وكأن بينهما انسجام. حزن هيتارو عندما أخبرته بأنها مضطرّة للذهاب وودّعته. لم يستطع ذلك المساء تركيز أفكاره على أمور الحياة العادية، فقد كانت أمورٌ أخرى تشغل باله: «من كانت تلك الفتاة تحت شجرة الصفصاف؟ ليتني أصادفها مجدداً!». لم ينم هيتارو تلك الليلة، فقد أصابته حمّى الحبّ.

في اليوم التالي، قصد هيتارو عمله باكرًا حيث أمضى نهاره يعمل بجهد للانصراف عن التفكير بفتاة شجرة الصفصاف، لكن في المساء وهو في طريق العودة إلى منزله، رأى تلك الفتاة مجدداً، وقد ألقت عليه التحيّة هذه المرّة بطريقة أكثر ودّيّة.

قالت له: «مرحبًا يا صديقي! تعال وارتح تحت أغصان شجرة الصفصاف التي تحبّها، فلابدّ من أنك متعب».

قبل هيتارو دعوتها بسرور ولم يسترِح تحت الشجرة فحسب، بل أفصح لها عن حبّه أيضًا.

وبعد ذلك، صارت هذه الفتاة الغامضة (التي لم يرَها

Twitter: @ketab_n

أحدٌ آخر) تأتي لمقابلة هيتارو يومًا بعد يوم وقد قطعت عليه وعدًا بالزواج شرط ألا يطرح الأسئلة عن أهلها أو أصدقائها، وقالت له: «لا أهل لي ولا أصدقاء، أعدك أن أكون زوجةً وفيةً لك، فأنا أحبّك حبّاً يملأ قلبي وروحي. نادِني هيغو[1] وأنا أكون لك زوجةً».

في اليوم التالي، تزوّج هيتارو من هيغو وأخذها إلى منزله. ولم تمضِ سنةٌ حتى ولدت له طفلاً ملأ حياتهما سعادة، وما مرّت دقيقةٌ فراغ على هيتارو أو زوجته إلا وأمضياها باللعب مع ابنهما الذي أسمياه شيودو. ما كان في اليابان كلها منزل أسعد من منزل هيتارو وزوجته الطيبة وابنهما الجميل.

واحسرتاه! أما من سبيل لتدوم السعادة في هذا العالم؟ فحتى لو سمحت الآلهة بذلك، لن يسمح بذلك الانسان.

عندما بلغ شيودو الخامسة من العمر، وقد كان الصبي الأكثر وسامة في القرية، قرّر الإمبراطور السابق توبا بناء معبد ضخم لإلهة الرحمة كوانون في كيوتو، يضع لها فيه ألف صورة وصورة (الآن في العام 1907، كما ذكرنا في البداية، يُعرَفُ هذا المعبد باسم «سان جو سان جان دو» ويحتوي على ثلاثة وثلاثين

(1) أي شجرة الصفصاف (المؤلف)

Twitter: @ketab_n

ألف وثلاثمئة وثلاثة وثلاثين صورة).

أراد الإمبراطور السابق توبا أن يصبح معروفاً، فأصدرت السلطات الأوامر بجمع الخشب لبناء المعبد الكبير، ما يعني أن أيام شجرة الصفصاف الضخمة أصبحت معدودة، تمامًا مثل غيرها من الأشجار التي ستكون سقفاً للمعبد.

حاول هيتارو إنقاذ الشجرة مرةً أخرى، وكان مستعدّاً لتقديم كل ما يملك من أشجار من دون مقابل، إلا أن جهوده ضاعت سدىً، حتى سكان القرية كانوا قلقين على مصير شجرتهم التي يعتقدون أنها تجلب لهم الحظ، لكن في كل الأحوال ستكون هديةً جميلةً منهم في سبيل بناء الهيكل الكبير.

اقتربت اللحظة الحاسمة. وذات ليلة، استسلم هيتارو وزوجته وابنه للنوم، إلى أن أيقظ هيتارو صوت القطع بالفؤوس. ذُهِلَ هيتارو لرؤية زوجته الحبيبة جالسةً في فراشها، تنظر إليه بحزن، والدموع تسيل على خدّيها، والبكاء يزرع في صوتها تنهيدًا.

قالت له بصوت تخنقه العبرات: «يا زوجي الحبيب، أرجوك أن تسمعني ولا تشكّ في أي كلمة مما سأقوله. شاء سوء الطالع ألا يكون هذا حلمًا. عندما تزوّجنا رجوتك ألا تسألني عن ماضيّ ولم تفعل، لكنني في ذلك الحين قلت لك إنني سأخبرك إذا ما تطلّبت

Twitter: @ketab_n

الظروف ذلك. لسوء الحظ يا زوجي الحبيب فقد حلّت هذه الظروف. أنا لستُ سوى روح شجرة الصفصاف التي أحببتها وأنقذتها منذ ست سنوات. كنت أردّ لك جميلك عندما ظهرت لك بشكل فتاة تحت الشجرة، وكنت آمل أن أتمكن من العيش معك وإسعادك طيلة حياتك. لكن للأسف لن يحصل ذلك! فها هم يقطعون الشجرة، وأنا أشعر بكلّ ضربة من ضربات فؤوسهم! وبما أنني جزء من هذه الشجرة فسيكون الموت مصيري. ينفطر قلبي لمجرّد التفكير بترك طفلي العزيز شيودو وبالحزن الشديد الذي سيصيبه عندما يعلم أن والدته فارقت الحياة. آه يا زوجي الحبيب! إنه كبيرٌ وقويٌّ بما فيه الكفاية ليعيش معك بلا أم من دون أن يتعذّب. أتمنى لكما حياةً طويلةً هانئة. الوداع يا عزيزي! عليّ أن أعود إلى شجرة الصفصاف الآن، فأنا أسمع ضربات فؤوسهم الآن تزداد قوةً وكل ضربة تزيدني ضعفاً».

كانت هيغو تختفي عندما أيقظ هيتارو ابنه وهو يتساءل إن كان ما رآه حلمًا. استيقظ شيودو ومادّاً يديه نحو المكان الذي غادرت منه والدته، راح يجهش في البكاء متوسّلاً أمه أن تعود.

فقال له هيتارو: «لقد ذهبت ولا يمكنها العودة. تعال، فلنرتدِ ثيابنا ولنذهب لحضور دفنها. أمك كانت روح شجرة الصفصاف».

Twitter: @ketab_n

بعد وقت غير طويل، عند بزوغ الفجر، أمسك هيتارو بيد شيودو وأخذه إلى حيث الشجرة. عندما وصلا وجداها مطروحةً أرضاً، مقطوعة الأغصان. ومن السهل تخيّل ما شعر به هيتارو في تلك اللحظة.

يا للعجب! بالرغم من الجهود الهائلة، لم يتمكّن الرجال من تحريك جذع الشجرة إنشاً واحدًا نحو النهر الذي من المفترَض أن ينقله إلى كيوتو.

عندما رأى هيتارو ذلك، خاطب الرجال قائلاً: «يا أصدقائي، إن جذع الشجرة الذي تحاولون تحريكه يحمل روح زوجتي. ربما لو تركتم ابني يساعدكم فستهون مهمتكم، وهو يرغب في المساعدة احترامًا لأمه وتقديرًا لها».

وافق الحطابون على طلب هيتارو وذُهلوا لرؤية شيودو يقف عند نهاية الجذع يدفعه بيده الصغيرة، والجذع ينزلق بسهولة في النهر، والوالد يدندن أغنية. ويقال إن أغنيةً أو قصيدةً معروفةً من الأغاني الشعرية انبثقت من هذا الحدث، وما زال الرجال يدندنونها حتى اليوم وهم يحملون الأوزان الثقيلة أو يقومون بعمل شاق، وفحوى هذه الأغنية:

«أليس من المحزن أن أرى حبيبي

Twitter: @ketab_n

المنبثق من نداوة الصفصاف

محرومًا من حمل البراعم؟

شدّوا شدّوا يا رجال»

وفي واكانورا يدندن العمّال أغنيةً عندما يعملون أو يجرون شيئاً، ويُقال أيضاً إن هناك أغنية أخرى نشأت من هذه القصة:

في واكانورا أماكن مشهورة

غونغن أولاً

وتاماتسوشيما ثانياً

وشجرة الصنوبر ثالثاً

وشيوغاما رابعاً

أليست أماكن جميلة رائعة؟».

ويُقال أيضًا إن أغنيةً ثالثة استوحيت من هذه القصّة وغالبًا ما تُغنّى لتشجيع الأولاد الصغار.

Twitter: @ketab_n

شبح الينبوع البنفسجي[1]

في إقليم ياماتو البريّ، أو على مقربة من حدوده، يشمخ جبلٌ جميلٌ معروفٌ باسم يوشينو ياما. ولا يتميّز هذا الجبل بكثافة أشجار الكرز المزهرة في فصل الربيع فحسب، بل بعلاقته بأكثر من معركة دامية أيضًا، إذ يمكن القول إنه كان ساحةً للمعارك التاريخية. كثرٌ هم الذين يقولون إنه عندما تكون في جبل يوشينو فإنك تمشي في قلب التاريخ، لأن يوشينو نفسه هو التاريخ. ويشمخ بالقرب من يوشينو نظيرٌ له هو جبل تسوبوساكا، وبين الجبلين وادي شيميزوتاني حيث الينبوع البنفسجي.

مع اقتراب فصل الربيع في هذا الوادي، يرتدي العشب حلّته الزمرديّة، ويفترش الطحلب الصخور والجلاميد. ومع حلول نهاية أبريل، تزيّن أسفل الوادي رقعٌ من أزهار البنفسج البريّة الأرجوانية، وأعلاه الأضاليا القرنفليّة والقرمزيّة بصورة يعجز الكلام عن وصفها.

(1) أخبرني هذه القصّة شوفوكوتاي فوكوغا. (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

منذ نحو ثلاثين سنة، خرجت شينجي وهي فتاةٌ جميلةٌ لها من العمر سبعة عشر عامًا، ترافقها أربع خادمات في نزهة إلى شيميزوتاني بحثاً عن أزهار بريّة. كانت الآنسة شينجي ابنة إقطاعي يعيش في الجوار، وقد اعتادت القيام بهذه النزهة إلى شيميزوتاني في شهر أبريل من كل سنة بحثاً عن زهرتها المفضلة، زهرة البنفسج الأرجوانية.

كانت الفتيات الخمس يحملن السلال متلهّفات لقطف الأزهار كما لو أن قطف الأزهار حكر على الفتيات اليابانيات. كنّ يتسابقنَ ويتنافسنَ على تزيين سلالهنّ بأروع الأزهار. وعندما لم يكتفينَ بما توافر من أزهار البنفسج الأرجوانية في تلك البقعة من الوادي، قالت لهنّ شينجي: «فلنتوجّه إلى أقصى شمال الوادي حيث تكثر هذه الأزهار».

استجابت الفتيات لطلب شينجي وانطلقن راكضات يتسابقنَ للوصول إلى شمال الوادي وضحكاتهنّ تملأ الفضاء.

كانت الآنسة شينجي أولى الواصلات، ولمّا رأت تلك البقعة الكبيرة من أزهارها المفضّلة ببنفسجها الداكن ورائحتها

Twitter: @ketab_n

الزكيّة، انكبّت تقطفها قبل أن تأتي الأخريات ويقطفنها. وما كادت تمدّ يدها الناعمة حتى رأت، ويا لهول ما رأت، أفعى تطلّ برأسها من جحرها. فذُعِرَت الآنسة شينجي وفقدت وعيها على الفور.

في هذه الأثناء، تخلّت الفتيات عن فكرة السباق وفكّرن أن سيدتهنّ ستفرح في الوصول أولاً. فرُحنَ يقطفن ما يعجبهنّ من الأزهار ويطاردنَ الفراشات، حتى وصلنَ بعد ربع ساعة من فقدان الآنسة شينجي الوعي.

عندما رأت الخادمات سيدتهنّ ممدّدةً على العشب، اعتراهنّ خوفٌ عظيم، وازداد خوفهنّ لرؤيتهنّ أفعى كبيرةً خضراء تلتفّ قرب رأسها.

صرخت الخادمات كما كانت لتفعل معظم الفتيات في ظروف مماثلة، إلا أن إحداهنّ، وتُدعى ماتسو، تمالكت أعصابها، ورمت بسلّة الزهور على الأفعى فخافت هذه الأخيرة وتسللت بعيدًا تفتّش عن مكان أكثر هدوءًا. بعد ذلك انحنت الفتيات الأربع فوق سيدتهنّ يفركنَ يديها ويرششنَ الماء على وجهها، لكن من دون فائدة. كانت بشرة شينجي المشرقة تزداد شحوبًا وشفتاها الحمراوان تميلان إلى اللون الأجواني معلنتين

Twitter: @ketab_n

دنوّ أجلها. انفطر قلب الفتيات لرؤية سيدتهن على هذه الحال، وراحت الدموع تجري على خدودهن. ولم يعرفنَ ماذا يفعلنَ فلم يكن بإمكانهنّ حملها. يا للكارثة!

وفي اللحظة نفسها، سمعنَ صوت رجل قريب منهنّ يقول: «لا تحزنّ، فلو سمحتنّ لي سأعيد لهذه الشابة وعيها».

استدرنَ ليرينَ شاباً وسيماً أيما وسامة يقف على بعد أقل من عشرة أقدام منهنّ. كان أشبه بملاك نزل من الجنّة.

لم يُضِف الشاب الوسيم كلمةً على ما قاله. اقترب من شينجي الممدّدة على الأرض وأمسك بيدها يتحسّس نبضها. لم يصدر أي تعليق عن الخادمات إزاء مخالفة الشاب قواعد السلوك، فصحيح أنه لم يطلب إذنهنّ للمسها إلا أن طريقته الرقيقة واللطيفة وقفت حاجزاً في وجه أي تعليق.

عاين الغريب الآنسة شينجي بكثير من العناية، وبصمت تام. بعد ذلك، أخرج من جيبه علبة دواء ووضع منها القليل من مسحوق أبيض على ورقة وقال: «أنا طبيبٌ من قرية مجاورة وتصادف أنني مررتُ من هنا بعد أن كنتُ عند مريض في كعب هذا الوادي. لحسن الحظ أنني مررتُ من هنا وبإمكاني مساعدتكنّ وإنقاذ حياة سيدتكنّ. أعطينها هذا الدواء وأنا سأبحث عن الأفعى وأقتلها».

Twitter: @ketab_n

وضعت الآنسة ماتسو الدواء مع بعض الماء في ثغر سيدتها، وما مرّت سوى بضع دقائق حتى بدأت تتماثل للشفاء.

بعد وقت قصير، عاد الطبيب وفي يده عصًا حمل عليها الأفعى الميتة.

سأل الفتيات: «أهذه هي الأفعى التي رأيتنّها بالقرب من سيدتكنّ؟».

فأجبن: «نعم، نعم، هذه هي الأفعى المشؤومة».

فقال الطبيب: «لحسن الحظ أنني أتيت، فهذه الأفعى سامة جداً، وأخشى أن سيدتكنّ كانت ستموت لولا أتيت وأعطيتها الدواء. أرى أنه بدأ يعطي مفعوله على الشابة الجميلة».

سمعت الآنسة شينجي صوت الشاب فنهضت وسألته: «أرجوك يا سيدي، قل لي لِمن أدين بفضل إعادتي إلى الحياة؟».

لم يُجِب الطبيب واكتفى برسم ابتسامة فخورة رجولية على شفتيه، وانحنى احترامًا على الطريقة اليابانية ثم غادر بهدوء تماماً كما أتى، واختفى في ضباب أصيل ذلك اليوم من أيام الربيع في وادي شيميزو.

Twitter: @ketab_n

ساعدت الفتيات الأربع سيدتهنّ على العودة إلى المنزل، بعد أن كانت قد تحسنّت وشعرت بالشفاء نتيجة تناولها الدواء. كان والدا شينجي شاكرين على شفائها، إلا أن اسم الطبيب الوسيم بقي سرًّا على الجميع ما عدا الخادمة ماتسو.

بقيت الآنسة شينجي بحال جيدة طوال أربعة أيام، لكن في اليوم الخامس، ولسبب ما، أخلدت إلى فراشها وهي تقول إنها تشعر بالتوعك. لم تنم ولا شعرت برغبة في الكلام، لكنها كانت تفكّر وتفكّر. لم يتمكّن والداها من معرفة ماهية مرضها، فهي لم تكن مصابة بالحمى.

عادها الأطباء الواحد تلو الآخر، لكن أحداً منهم لم يعرف علّتها، فكلّ ما لاحظوه هو أن حالتها تتدهور يوماً بعد يوم. انفطر قلب أسانو زامباي والد شينجي لرؤية ابنته على هذه الحال، وفطر قلب أمها. لقد حاولا فعل كل شيء للمسكينة شينجي لكنهما لم يفلحا.

وذات يوم، طلبت الآنسة ماتسو مقابلة أسانو زامباي، ربّ العائلة والإقطاعي النبيل. لم تكن من عادة زامباي الإصغاء إلى آراء الخدم، لكنه كان يعرف مدى إخلاص ماتسو لابنته وحبها لها، فوافق على مقابلتها.

Twitter: @ketab_n

قالت الخادمة: «سيدي لو تسمح لي بالبحث عن طبيب لسيدتي فأعدك أنني سآتي بطبيب يشفيها من سقمها».

فسألها زامباي: «ومن أين لك أن تأتي بذلك الطبيب؟ أما أتينا لها بأفضل الأطباء في المقاطعة وبعضهم جاء من العاصمة؟ أين ستبحثين عن طبيب بعد؟».

أجابته ماتسو: «سيدي، إن الداء الذي تعاني منه سيدتي لا دواء له، ولا طبيب يشفيها منه. إلا أن طبيباً واحدًا يستطيع شفاءها. سقم سيدتي في قلبها وشفاؤها عند الطبيب الذي أعرفه. فقلبها يعاني من حبّها له منذ أنقذها من لدغة الأفعى».

أخبرته الآنسة ماتسو عما صادفهنّ في النزهة جملةً وتفصيلاً. فالآنسة شينجي طلبت من الخادمات عدم التفوّه بالكثير، خشية ألا يُسمَح لهنّ بالذهاب إلى وادي البنفسج من جديد.

سألها زامباي: «ما اسم هذا الطبيب؟».

فأجابت ماتسو: «سيدي، اسم الطبيب يوشيساوا، وهو شاب في غاية الوسامة، ولطيف أيما لطف، إلا أنه من عائلة فقيرة. سيدي، أرجوك فكّر بقلب سيدتي الولهان العاشق للرجل الذي

Twitter: @ketab_n

أنقذ حياتها، ولا عجب في ذلك، فهو شاب وسيم فيه صفات المحارب الوقور. العلاج الوحيد لسقم ابنتك يا سيدي هو السماح لها بالزواج منه».

حزنت والدة الآنسة شينجي حزنًا شديداً لسماع ذلك. فهي تدرك تماماً (وعن خبرة ربما) معنى السقم بسبب الحب. فقالت لزوجها والدموع تملأ عينيها: «أنا أشعر بحزنك يا سيدي، من جرّاء المصيبة التي وقعت بنا، لكن لا يمكنني السماح بموت ابنتي أمام ناظريّ. فلنخبرها أننا سنستعلم عن الرجل الذي تحبّه ونبحث في إمكانية جعله صهرًا لنا. في كل الأحوال، إن الاستعلام عن الصهر هو من صلب عاداتنا وتقاليدنا، وسيتطلّب الأمر بضعة أيام تستعيد خلالها ابنتنا بعضاً من عافيتها وتقوى بما فيه الكفاية لسماع خبر عدم قبولنا حبيبها صهراً لنا».

وافق زامباي على اقتراح زوجته ووعدت الآنسة ماتسو ألا تتفوه بكلمة أمام سيدتها.

عرفت الآنسة شينجي من أمها أن والدها سيستعلم عن يوشيساوا بالرغم من عدم موافقته على فكرة زواجه من ابنته.

Twitter: @ketab_n

مع سماع هذا الخبر، عادت الآنسة شينجي تأكل وتستعيد عافيتها وعندما أصبحت قويةً بما فيه الكفاية، بعد مرور عشرة أيام، دُعيَت لمقابلة والدها ومعها والدتها.

قال لها زاماباي: «يا ابنتي العزيزة، لقد استعلمت عن حبيبك الطبيب يوشيساوا. يحزنني أن أقول لك إنه من المستحيل أن أوافق أنا والدك، ربّ هذه العائلة، على زواجك من رجل من عائلة فقيرة مثل يوشيساوا بالرغم من طيبته. لا أريد أن أسمع أي شيء عن هذا الموضوع فهذا أمر من المستحيل حصوله في عائلة أسانو».

لم يجرؤ أحدٌ على النبس ببنت شفة ففي اليابان قرار رب العائلة هو القرار النهائي.

انحنت المسكينة شينجي أمام والدها وذهبت إلى غرفتها تذرف الدموع أنهارًا، وراحت خادمتها المخلصة الآنسة ماتسو، تحاول جاهدةً مواساتها.

في صباح اليوم التالي، ذُهِل أهل البيت عندما لم يجدوا الآنسة شينجي في أي مكان. فتّشوا في كل مكان وحتى الطبيب يوشيساوا فتّش معهم.

Twitter: @ketab_n

بعد اليوم الثالث من اختفاء شينجي، نظر أحد الباحثين في الينبوع البنفسجي فرأى جسد المسكينة عائمًا على وجه الماء.

وبعد يومين، دُفِنَت شينجي وفي يوم دفنها، رمى يوشيساوا بنفسه في الينبوع.

ويقول الناس إنهم ما زالوا حتى اليوم يرون شبح الآنسة شينجي عائمًا على وجه مياه الينبوع في الليالي العاصفة، ومنهم من يقول إنهم يسمعون بكاء شاب في وادي شيميزوتاني.

Twitter: @ketab_n

شبح قبر عازف الناي

في قديم الزمان، في قرية صغيرة نائية اسمها كوميداموراء، على بعد ثمانية أميال جنوب شرق مدينة ساكاي، في مقاطعة إيدسومو، كان يقبع ضريح ما زال الناس حتى يومنا هذا يقصدونه للعبادة والصلاة، حاملين الأزهار وأعواد البخور التي تُقدَّم قرابين لروح الرجل المدفون هناك. ويحتشد الناس حول الضريح طيلة أيام السنة وفي كل الفصول.

يقع الضريح على ضفاف بركة كبيرة اسمها كوميدا، في محيط دائرة من خمسة أميال وكل الأماكن حول البركة كانت تُعرَف ببركة كوميدا التي اتخذت منها القرية اسمها.

فضريح من هذا الذي يجذب تعاطف كل أولئك الناس؟ فالقبر ليس سوى عبارة عن عمود حجري من دون أي زخرفة عليه، والمكان المحيط به منبسط قبيح حتى نقطة الوصول إلى جبال كيوشو. يجب أن أخبركم، بأفضل ما يمكن، لمن يعود هذا القبر.

Twitter: @ketab_n

منذ زهاء ثمانين سنة، عاش على مقربة من البركة في قرية كوميدامورا رجلٌ كفيفٌ اسمه يواشي، كان محبوبًا جدًا بسبب صدقه ولطفه إلى جانب مهارته في فنّ التدليك الذي يُعتبَر علاجاً ضرورياً لكل ياباني، بحيث أنه من المستحيل أن تجد قرية من دون مدلّك.

كان يواشي كفيفاً، وشأنه شأن الكفيفين جميعاً، كان يمسك بيد صولجاناً حديدياً أو عصًا تساعده في تحسس سبيله وبيده الأخرى ناياً يتجوّل في القرية وهو يعزف عليه بهدف إعلام الناس بتفرّغه للعمل. كان يواشي مدلّكاً بارعاً يطلبه الكثيرون للعمل عندهم ويجزونه العطاء، ممّا مكّنه من امتلاك منزل صغير وخادمة تحضّر له الطعام.

على مسافة غير بعيدة من منزل يواشي، كان مقهىً صغيرٌ بالقرب من مقاعد البركة. وفي عتمة مساء يوم الخامس من أبريل، في فصل تفتّح أزهار أشجار الكرز، كان يواشي في طريق العودة إلى منزله بعد أن أمضى النهار بطوله في العمل. قاده سبيله إلى البركة حيث سمع فتاةً تبكي أشد البكاء. توقّف يصغي لبضع لحظات، وفهم مما سمعه أن الفتاة تريد أن تغرق نفسها في البركة. وما كادت تقفز في البحيرة حتى أمسك يواشي بردائها وجرّها خارج الماء. وسألها: «من أنتِ وما الذي يدفعك إلى أحضان الموت؟».

Twitter: @ketab_n

أجابت الفتاة: «أنا أسايو عاملة المقهى. أنت تعرفني جيداً. ولابد من أنك تعرف أنه من المستحيل أن يكفيني الأجر الزهيد الذي يعطيني إياه سيدي. مرّ يومان لم أذق فيهما الطعام، وقد سئمت من هذه الحياة».

قال لها الكفيف: «هيا امسحي دموعك، وأنا سآخذك إلى منزلي وسأفعل ما بوسعي لمساعدتك. ما زلت في ربيع عمرك وقيل لي إنك فتاة جميلة، وربما تتزوجين! وفي كافة الأحوال، سأهتم بك وممنوع عليك بالتفكير بقتل نفسك. تعالي معي الآن وسأحرص على أن تتناولي الطعام وترتدي ثياباً جافة».

واصطحب يواشي أسايو إلى منزله.

بعد مرور بضعة أشهر، تزوّجا. هل كانا سعيدين؟ كان من المفترض أن تكون السعادة مصيرهما، فيواشي يعامل زوجته خير معاملة، لكنها كانت بعكسه، أنانية سيئة المزاج وخائنة. والخيانة بنظر اليابانيين هي أخطر الشرور، فما بالكم لو كان الزوج كفيفاً؟

بعد مضي ثلاثة أشهر على زواجهما، وفي أحد أيام شهر أغسطس الملتهبة بحرارة الشمس الحارقة، وصلت إلى القرية مجموعة من الممثلين، وكان من بينهم الممثل ساوامورا تاماتارو، صاحب الشهرة الواسعة في أزاكوزا.

Twitter: @ketab_n

وكانت أسايو مولعةً بالمسرح، تقضي وقتها وتنفق مال زوجها على مشاهدة المسرحيات. وفي أقل من يومين، وقعت في غرام تاماتارو، فراحت ترسل له المال الذي كان يشقى زوجها الكفيف في الحصول عليه، وتكتب له رسائل العشق والهيام، وترجوه أن يسمح لها بزيارته.

تطوّرت الأمور من سيء إلى أسوأ، ودُهِشَ الجيران لمعرفتهم بأمر اللقاءات السرية بين أسايو والممثل. وكما هي الحال في معظم الحالات المماثلة، لم يكن الزوج على علم بأي شيء. غالباً ما كان يعود إلى المنزل، ويكون الممثل فيه لازمًا الصمت، فتخرجه أسايو سرّاً، حتى إنها ترافقه أحيانًا.

حزن الجميع لما أصاب يواشي من خيانة إلا أن أحدًا لم يشأ إخباره.

وفي أحد الأيام، ذهب يواشي لتدليك أحد زبائنه، وقد اعتراه الشك عندما أخبره هذا بخيانة أسايو. وجاء ابن الزبون الذي يدلّكه يواشي ليؤكّد ما قاله والده: «نعم هذا صحيح، حتى إن الممثل تاماتارو مع زوجتك الآن. فقد دخل إلى منزلك حالما غادرته، وهذا ما يحصل كل يوم وكثيرون منا قد رأوا ذلك. نحن جميعاً نشعر بالأسى على ما أصابك من عمىً وخيانة، ويسرّنا أن نساعدك على معاقبة زوجتك الخائنة».

Twitter: @ketab_n

شعر يواشي بأسى عميق، لكنه رفض مساعدة أصدقائه في معاقبة زوجته، بالرغم من العمى الذي يضني عينيه. عاد إلى المنزل بأسرع ما يسمح له عماه، محاولاً عدم إثارة أي صوت بعصاه وأغراضه.

وصل إلى المنزل ووجد الباب الأمامي موصداً من الداخل، ثم توجّه إلى الباب الخلفي ليجده موصداً هو الآخر. لم يكن أمامه من خيار سوى خلع الباب وإثارة ضجة. كان يواشي منفعلاً جدًا، فهو يعلم أن زوجته الخائنة وعشيقها موجودان في الداخل، وكان يشعر برغبة عارمة في قتلهما. لم يدرِ من أين واتته الشجاعة لكنه وجد نفسه يتسلّق الجدار وصولاً إلى سقف البيت. كان يخطّط لدخول البيت من فوهة المدخنة. لكن شاء سوء طالعه أن ينقطع الحبل المصنوع من القش والذي كان يمسك به ليقع على لوح خشبي صلب ويصاب بكسور في جمجمته ويفارق الحياة على الفور.

سمعت أسايو والممثل الضجة فخرجا يستطلعان ما جرى، وفرحا لرؤية يواشي المسكين ميتاً. ولم يبلّغا عن موته حتى اليوم التالي، زاعمين أنه سقط عن الدرج ومات.

Twitter: @ketab_n

دفنت أسايو والممثل يواشي بسرعة لا تليق به وبقلة احترام لا يستحقها.

لم يكن ليواشي أي أولاد، فكان لابد، بحسب القانون الياباني، من أن ترث زوجته أملاكه. ولم تمضِ سوى أشهر قليلة حتى تزوجت أسايو بالممثل. في الظاهر بدوا سعيدين، إلا أن أحداً من سكان قرية كوميدا لم يكن يحبّهما أو يحترهما، لا بل كان الجميع يحتقرهما على ما فعلاه بالمدلّك الكفيف المسكين يواشي.

مرّت أشهر لم يحدث خلالها شيء مهم في القرية. لم يكن أحد يكترث لأسايو وزوجها وهما بدورهما لم يكونا يكترثان لأحد غير نفسيهما. تعب الثرثارون في القرية وكما هي حال الأخبار كلها، توقّفت الألسن عن تداول قصّة المدلّك الأعمى وأسايو وتاماتارو.

إلا أن هذا لا يعني أن روح الميت المجروح لن تثأر وتشفي غليلها.

في إحدى المقاطعات الغربية، في قرية صغيرة اسمها ميناتو، كان يعيش أوكودا إشيباي وهو أحد الأصدقاء المقربين ليواشي الذي قصد وإياه المدرسة نفسها في صغرهما، وعندما

Twitter: @ketab_n

غادر إشيباي نحو الشمال الغربي تواعدا بأن يذكر واحدهما الآخر دائمًا، وأن يتساعدا عند الحاجة. عندما أصاب العمى عينَيْ يواشي، توجّه إشيباي إلى كوميدا، وساعد صديقه على البدء بالعمل في مجال التدليك، فأعطاه منزلاً يعيش فيه، وكان إشيباي قد ورث هذا المنزل. وشاء القدر مرةً أخرى أن يساعد إشيباي صديقه، في ذلك الوقت كانت الأخبار تسري ببطء ولم يسمع إشيباي خبر موت صديقه يوم موته وما عرف حتى أنه تزوّج. وفي إحدى الليالي، استيقظ إشيباي ليجد طيف رجل واقف قرب وسادته، أقرب إلى أن يكون يواشي!

فقال له: «يا إلهي يواشي تسرّني رؤيتك، ولكن الوقت متأخر جداً الآن، لِمَ لم تعلمني بقدومك؟ كان يجب أن أكون مستيقظاً لاستقبالكَ وأحضر لك طعاماً شهياً. لكن لا تقلق، سأنادي الخادم وسيكون كل شيء جاهزًا في أسرع وقت ممكن. في الأثناء اجلس وأخبرني عن حالك وكيف اجتزت كل هذه المسافة إلى هنا. فالمرور بالجبال والمناطق البرية الأخرى من كوميدا هو أمر صعب في أفضل الأحوال، فما بالك وأنت كفيف؟».

Twitter: @ketab_n

أجاب شبح يواشي: «أنا لم أعد على قيد الحياة. أنا روح صديقك يواشي وسأبقى تائهة حتى يُثأَرُ للألم الذي أصابني. جئت أرجوك مساعدتي لتنعم روحي بالسلام. إن أصغيت إليّ فسأخبرك قصتي، وبعد ذلك افعل ما تراه عين الصواب».

أصيب إشيباي الدهشة، كي لا نقول بالتوتّر، لمعرفته أن شبحًا معه في الغرفة، لكنه كان رجلاً شجاعاً وقد كان يواشي صديقه. حزن إشيباي حزناً شديداً لموت يواشي وعرف أن روحه تتألم فقرّر ألا يستمع إلى قصة يواشي فحسب، بل أن ينتقم له أيضًا.

أخبر الشبح إشيباي بكل ما جرى منذ أن استقر في ذلك المنزل في كوميدامورا. أخبره عن نجاحه في مزاولة مهنة المدلّك، وأنه أنقذ حياة أسايو وأخذها إلى بيته وتزوّج منها. ثم أخبره عن وصول فرقة الممثلين ومن بينهم الرجل الذي دمّر حياته، وأخبره عن موته ودفنه على عجلة، وعن زواج أسايو والممثل. وقال له: «لابدّ من أن أثأر. هل ستساعد روحي لترقد بسلام؟».

وعد إشيباي يواشي بمساعدته. فاختفت روح يواشي واستسلم إشيباي للنوم.

Twitter: @ketab_n

في صباح اليوم التالي، اعتقد إشيباي أنه كان يحلم، لكنه تذكّر الرؤية والقصة جيداً ففهم أن ما حصل كان واقعاً. استدار في سريره لينهض فلمع في عينيه ناي معدني بالقرب من وسادته. كان هذا ناي المدلّك الكفيف وكان اسم يواشي محفوراً عليه.

عزم إشيباي الذهاب إلى كوميدامورا للتحقّق من أخبار يواشي.

في ذلك الوقت، لم تكن سكك الحديد موجودة، بل كانت القليل من المركبات الخفيفة بعجلتين هنا وهناك، فكان السفر بطيئاً. استلزم إشيباي عشرة أيام للوصول إلى كوميدامورا. وما إن وصل حتى قصد بيت صديقه يواشي حيث سمع القصّة نفسها بطريقة مختلفة هذه المرّة.

قالت أسايو: «نعم، لقد أنقذ حياتي ثم تزوّجنا وكنت أساعده في كل شيء. في أحد الأيام، واحسرتاه، تعثّر على الدرج وسقط ميتاً. والآن أنا متزوجة من صديقه العزيز، إنه الممثل تاماتارو الذي تراه أمامك».

أدرك إشيباي أنه من المستحيل أن يكذب شبح يواشي عليه وأن يطلب منه الثأر ظلماً، لكنه بقي يستمع إلى أكاذيب أسايو وزوجها، ويتساءل عن الطريقة المثلى للانتقام منهما.

Twitter: @ketab_n

حلّت الساعة العاشرة، وبعدها الساعة الحادية عشرة، وفي الساعة الثانية عشرة، بعد أن أكّدت أسايو لإشيباي للمرّة السادسة أو السابعة، أنها فعلت كل ما في وسعها لمساعدة زوجها الكفيف، هبّت فجأةً عاصفةٌ، وفي قلب العاصفة سُمِعَ صوت ناي المدلّك، ولم يكن من مجال للشك بذلك، فحتى أسايو صرخت خوفاً.

راح الصوت يقترب شيئاً فشيئاً، حتى بدا وكأنه في الغرفة نفسها. ثم هبّ هواءٌ باردٌ من تحت اللوح الخشبي الصلب، وظهر شبح يواشي ممدّدًا تحته بوجهه البارد الشاحب الحزين.

حاول تاماتارو وزوجته الوقوف والهرب من المنزل، لكن أرجلهما لم تحملهما من شدّة الخوف.

أمسك تاماتارو بقنديل ورمى به الشبح، لكن الشبح لم يتحرّك. بل اخترقه القنديل وانكسر مضرمًا النار في المنزل الذي احترق بمساعدة الرياح.

تمكّن إشيباي من الهرب دون أسايو وزوجها اللذين عجزا عن الحراك. وقد التهمتهما النيران في حضور شبح يواشي.

Twitter: @ketab_n

جمع إشيباي الرفات ووضعها في قبر، وفي قبر آخر وضع ناي المدلّك الأعمى ونصب مكان المنزل تمثالاً يخلّد ذكرى يواشي.

Twitter: @ketab_n

المعبد المسكون في مقاطعة إينابا[1]

في العام 1680، كان معبدٌ قديمٌ على جبل مكسو بأشجار الصنوبر البريّة على مقربة من قرية كيسايشي في مقاطعة إينابا، وفي أسفل الجبل كان واد صخريٌ شديد الانحدار. كانت الأشجار عاليةٌ وكثيفةٌ، تحجب بكثافتها نور النهار مهما كانت أشعة الشمس ساطعة. ويتذكّر عجائز القرية أن المعبد كان مسكونًا بشبح وهيكل عظمي يعود إلى أحد الكهنة الذين كانوا يسكنونه. وقد حاول الكثيرون من الكهنة العيش في ذلك المعبد واتخاذه منزلاً لهم إلا أن مصيرهم جميعاً كان الموت. ما بات واحدٌ منهم ليلته في ذلك المعبد وبقي على قيد الحياة.

(1) تكلّمتُ في الكثير من القصص عن الشيتو داما أو «الأرواح النجمية» أو الأشباح. كثرٌ كانوا شاهدين على وجودها وقد كانت قصصهم متطابقة لدرجة أنني كدت أؤمن بها بنفسي. يقول بعضهم إنه ثمة شكلان لها: الشكل البرقي الدائري المستطيل، والشكل المائل إلى المربّع أما ابن الصياد أوتو من أنامي فقد رأى شبح زوجة الحلاق بعد أن ماتت وقال إنها كانت على شكل بيضة ذات ذيل. وفي تسوبون، بالقرب من نابا، قال أكثر من عشرين شخصاً ممّن رأوا شبح رجل أصمّ وشبح صيّادة أنهما كانا مربّعي الشكل. وفي توشي شيما أيضًا، قال بعض المسنّين إن شبح نجار ظهر خمس أو ست مرّات منذ خمس عشرة سنة وكان لونه أحمر بدلاً من الهيئة الدخانية البيضاء المومضة. إن الأشباح برأيي هي الأشكال الوهمية للأرواح التي تطوف في الأرض بعد الموت. هذه قصّة روح مستاءة سكنت معبداً وظهرت على شكل شبح (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

وفي شتاء العام 1701، وصل إلى قرية كيسايشي كاهنٌ عائداً من رحلة حج. كان اسمه جوغن وكان من مواليد مقاطعة كاي. جاء جوغن لرؤية المعبد المسكون، فهو مولعٌ بدراسة أمور مماثلة. صحيحٌ أنه يؤمن بأن الروح تعود إلى الأرض بشكل شبح، إلا أنه لم يكن يؤمن بالأشباح. في الواقع كان همّه رؤية شبح حقيقي ويتمنّى أن يملك معبداً خاصاً به. ويحول الخوف والموت في تاريخ هذا المعبد الشامخ على الجبل دون زيارته أو السكن فيه، ممّا يناسب جوغن. وفي إحدى ليالي ديسمبر الباردة، وصل جوغن إلى القرية وتوجّه إلى النزل ليأكل الأرزّ ويجمع ما أمكنه من الأخبار عن المعبد.

لم يكن جوغن يعرف الخوف، بل على العكس كان شجاعاً وقد استعلم عن المعبد بطريقة جدّ هادئة.

قال له صاحب النزل: «يا سيدي، لا يجدر بقداستك التفكير بالذهاب إلى ذلك المعبد، ففيه الموت محتّمٌ. كثرٌ هم الكهنة الذين حاولوا أن يبيتوا ليلتهم هناك لكن أحدًا منهم لم ينجُ من الموت، فإمّا كان يُعثَر عليهم أمواتاً في صباح اليوم التالي وإمّا يموتون في اليوم التالي. لا مجال سيدي لتحدّي الروح الشريرة في ذلك المعبد. أرجوك يا سيدي أن تنسى هذه الفكرة، فنحن نريد أن

Twitter: @ketab_n

يكون لنا معبدٌ في هذه القرية لكننا لا نريد المزيد من الأموات، وقد فكّرنا غالباً في إحراق هذا المعبد المسكون وبناء آخر في مكانه.

لكن جوغن ظلّ عازماً على البحث عن الشبح ومقابلته.

فأجاب: «يا سيدي العزيز، أنا أحترم طلبك لكن لطالما كان طموحي أن أقابل شبحاً حقيقياً وإذا سمح لي القدر، فسأعيد فتح هذا المعبد، حيث سيتاح لي قراءة الأساطير الموجودة في كتبه القديمة، وأن أصبح رئيس الكهنة فيه».

وجد صاحب النزل أن الكاهن لن يعدل عن قراره، فتوقّف عن محاولة إقناعه، ووعده أن يرشده ابنه إلى المعبد في صباح اليوم التالي وأن يحمل معه المؤونة.

أشرقت شمس اليوم التالي، فنهض جوغن من فراشه باكرًا واستعدّ للرحلة. وكان كوزا البالغ من العمر اثنين وعشرين عامًا يحضّر البطانيات للكاهن ويطهو له أرزّاً يكفيه لمدّة يومين على الأقل. وكان من المقرّر أن يرشد الكاهن إلى المعبد ثم يعود إلى القرية، إذ أن شأنه شأن سكّان القرية الآخرين، يرفض قضاء ليلة في ذلك المكان الغريب. لكنه اتفق مع والده على الذهاب في صباح اليوم التالي لرؤية جوغن وحمله إلى القرية لإقامة دفن محترم له وإحراق جثته.

Twitter: @ketab_n

ضحك جوغن ممّا سمعه، وبعد وقت قليل غادر القرية ورافقه كوزا حاملاً أغراضه ومرشدًا سبيله.

كان السبيل إلى المعبد شديد الانحدار، وقد انتشرت الصخور المكسوّة بالطحالب في كلّ مكان. وصل جوغن ورفيقه إلى منتصف الطريق، فجلسا يستريحان ويأكلان. وما هي إلا لحظات حتى سمعا أصواتاً تتعالى، ثم أطلّ صاحب النزل وثمانية أو تسعة من كبار القرية.

قال صاحب النزل: «لقد تبعناك لنحاول للمرّة الأخيرة إقناعك بالعدول عن رأيك والتخلّي عن فكرة الذهاب إلى الموت المحتّم. صحيح أننا نريد إعادة فتح هذا المعبد وطرد الأشباح منه، لكننا لا نريد أن يكلّفنا ذلك حياةً أخرى. أرجوك أن تعيد التفكير في ذلك».

فأجاب الكاهن: «لا يمكنني العدول عن قراري. هذه فرصتي الوحيدة، فقد وعدني كبار قريتك بأن أكون رئيس الكهنة في المعبد إذا ما تمكنت من إعادة فتحه وطرد الأرواح منه».

مرةً أخرى رفض جوغن الإصغاء إلى النصيحة، وضحك من خوف سكّان القرية. ثم أخذ الأغراض من كوزا وحملها على

Twitter: @ketab_n

كتفه وقال له: «عد مع الآخرين، أصبح من الأسهل الآن أن أجد سبيلي. سيسرّني أن تعودوا غداً ومعكم النجارون، فلا شك أن المعبد بحاجة إلى بعض الترميم، سواء من الخارج أم من الداخل. الآن يا أصدقائي، أستودعكم الله إلى الغد. لا تقلقوا عليّ، فأنا لست قلقاً على نفسي».

انحنى سكّان القرية إجلالاً للكاهن، وقد أثرت بهم شجاعته أيما تأثير، وراحوا يتمنون أن يصبح كاهن قريتهم. انحنى جوغن بدوره محيياً ثم أكمل طريقه نحو المعبد. بقي الآخرون يراقبونه إلى أن غاب عن الأنظار، ثم عادوا أدراجهم إلى القرية. وكان كوزا ممتناً للفرصة التي سمحت له بالعودة إلى القرية من دون الحاجة إلى الذهاب إلى المعبد مع الكاهن ثم العودة إلى القرية وحده في المساء. فقد شعر وهو مع شخصين أو ثلاثة ببعض الشجاعة التي ما كان سيشعر بها وحده في الظلام في تلك الغابة بالقرب من المعبد المسكون.

واصل جوغن الصعود حتى رأى المعبد، وقد بدا سفح الجبل والسبيل إلى المعبد شديد الانحدار. وبالرغم من الحمل الثقيل على كتفه، استمرّ في التقدّم يدفعه الفضول، وبعد خمس عشرة دقيقة، وصل لاهثاً إلى مصطبة المعبد، المبنية شأنها شأن المعبد على دعامات أو سقالات.

Twitter: @ketab_n

للوهلة الأولى، بدا المعبد كبيراً لجوغن لكن الإهمال تسبّب بخرابه. فالأعشاب البرية نبتت عالياً على جدرانه، وبفعل الرطوبة كثرت الفطريات والنباتات المتسلقة وتشبّعت الدعامات بالماء، وقد كتب الكاهن في تلك الليلة أن خوفه من الأرواح ليس بقدر خوفه من حالة دعامات المبنى.

دخل جوغن المعبد بحذر، ورأى تمثالاً كبيراً مطلياً بالذهب يجسّد بوذا، بالإضافة إلى صور كثير من القديسين. رأى أيضاً التماثيل البرونزية والأواني والأوعية المليئة بـأوراق النفيس المتعفنة، ومحارق البخور، وأشياء قيمة ومقدسة أخرى.

خلف المعبد، كانت غرف الكهنة. فمن الواضح أنه قبل ظهور الأشباح، كان في المعبد خمسة أو ستة كهنة موجودين لخدمة المعبد والمؤمنين الذين يأتون للصلاة.

كان الظلام حالكاً، ومع اقتراب الليل أحاط جوغن نفسه بالنور. فتح صرّته، ملأ قنديلاً زيتاً، ووجد عيداناً للشموع التي أحضرها معه. وضع جوغن الشموع على جانبَيْ تمثال بوذا وبقي يصلّي ساعتين ازدادت فيهما حلكة الظلام. بعد ذلك، أحضر الأرزّ وجلس يتأمّل مصغيًا، وقد اختار الجلوس في البهو بهدف التمكّن من رؤية داخل

Twitter: @ketab_n

المعبد وخارجه. جلس خلف عامود قديم ينتظر وفي قلبه ينعدم الإيمان بالأشباح لكنه، بحسب مذكراته، كان متلهفاً لرؤية الشبح الحقيقي.

مرّت ساعتان لم يسمع خلالهما شيئاً. كان الهواء، بنسماته الخفيفة، يلتفّ حول المعبد ويتغلغل بين جذوع الأشجار العالية، والبوم ينعق بين الحين والآخر، والوطاويط تدخل وتخرج من نوافذ المعبد، ورائحة الفطر تملأ المكان.

فجأةً، مع اقتراب منتصف الليل، سمع جوغن حفيفاً في الشجيرات كأن أحداً يتحرك فيها. فظنّ أنه قد يكون أيلاً أو ربما أحد القردة الحمراء الوجه التي غالباً ما تتواجد بالقرب من المعابد العالية والمهجورة، أو ثعلباً ربما أو غريراً.

سرعان ما أدرك الكاهن أنه على خطأ. نظر إلى مصدر صوت حفيف الأوراق فرأى بجلاء طيف الشبح الحقيقي. كان الطيف يتنقّل من مكان إلى آخر بسرعة مجنونة ويصدر منه طنينٌ بعيدٌ، لكن الرعب الحقيقي كان في الشيء الواقف بين الشجيرات.

تجمد الدم في عروق الكاهن حين رأى هيكلاً عظمياً في ثياب كاهن تشتعل عيناه متوهجتين. في البداية وقف

Twitter: @ketab_n

الهيكل العظمي من دون حراك، لكن عندما بدأ الشبح بالصعود أكثر فأكثر، تبعه الهيكل العظمي مرئياً أحياناً ومخفياً أحياناً أخرى.

راح الشبح يصعد ويصعد حتى وصل إلى قاعدة تمثال بوذا ووقف مواجهاً لجوغن.

تجمدت قطرات العرق على جبين الكاهن، وأصابت جسده رعشةٌ حتى بالكاد تمكّن من الوقوف وهو يمسك لسانه لكي لا يصرخ. أسرع إلى الغرفة الصغيرة حيث ترك بطانياته واحتجز نفسه فيها، ثم راح يسترق النظر من شقّ في الجدار الخشبي. فرأى الطيف جالسًا بالقرب من تمثال بوذا أما الشبح – أو الهيكل العظمي – فقد اختفى.

بقيت حواس جوغن على حالها، لكن الخوف شل جسده فلم يعد يقوى على الحراك. فمكث على حاله يسترق النظر من الشق.

بقي الشبح مكانه يحرك رأسه تارةً يساراً وطوراً يميناً ونحو الأعلى أحياناً.

Twitter: @ketab_n

استمرّ الوضع على حاله ساعةً من الزمن. ثم عاد الطنين وظهر الطيف من جديد يدور ويدور حول الشبح إلى أن اختفى هذا الأخير وبعد أن دار حول الصور المقدسة ثلاث أو أربع مرات اختفى فجأةً.

في صباح اليوم التالي، وصل إلى المعبد كوزاير افقه خمسة رجال. وجدوا الكاهن على قيد الحياة لكن عاجزاً عن الحراك. لم يستطع التحّرك ولا التكلّم. فحملوه إلى القرية لكنه مات قبل أن يدركها.

كانت مذكرات الكاهن ذات فائدة كبيرة. ولم يجرؤ أحدٌ بعده على دخول ذلك المعبد. بعد عامَيْن ضربت المعبد صاعقة وأحرقته بالكامل. وعندما راح سكان القرية يبحثون بين الأنقاض عن تماثيل بوذا البرونزية والمعدنية، وجدوا هيكلاً عظمياً محروقاً بالقرب من الشجيرات التي سمع جوغن حفيفها.

لا شكّ أن الشبح هو شبح كاهن مات ميتة رهيبة فلم تستطع روحه أن ترقد بسلام.

جُمِعَت العظام ودُفِنَت بشكل لائق ومنذ ذلك الحين لم يعد للشبح أي وجود.

وكانت الصخور المكسوة بالطحالب كلّ ما تبقّى من المعبد.

Twitter: @ketab_n

سمكة الشبوط ودرس المثابرة[1]

بين خمسينيات وستينيات القرن الثامن عشر، عاش في كيوتو رسّامٌ عظيمٌ اسمه أوكيو ماروياما أوكيو. وكانت تعود عليه رسوماته بمبالغ طائلة حتى في تلك الأيام. لم يكن لأوكيو الكثير من المعجبين فحسب، بل الكثير من التلاميذ الذين كانوا يجتهدون في نقل أسلوبه أيضاً، ومن بينهم روزيتسو الذي كان أفضلهم.

عندما قصد روزيتسو أوكويو بهدف التعلّم، كان أكثر تلاميذه غباءً، وكان بطيئاً في التعلّم لدرجة أن التلاميذ الآخرين الذين قصدوا أوكويو للتعلّم بعد عام من روزيتسو تفوقوا عليه. كان روزيتسو مجتهداً جدًا إلا أن الحظ لم يكن حليفه، ورغم

(1) في أحد الأيام، كان الرسام بوزيتسو يتحدّث معي عن أعظم الرسامين في اليابان، وقد أخبرني قصة غريبةً عن أحد هؤلاء الرسامين. كانت قصةً مؤثرةً عن رسّام اسمه روزيتسو إلا أنني لم أجد اسمه في كتاب المؤرّخ الفنّي لويس غونز لكنني وجدتُ اسم ماروياما أوكيو. وقد ذُكر خمسة أشخاص على أنهم أفضل تلامذة أوكيو إلا أن روزيتسو لم يكن من بينهم. فما كان منّي إلا أن أرسلتُ رسالةً إلى صديقي الحاكم، وهو على اطّلاع على اللوحات اليابانية، فكانت إجابته: «أنت محقّ، روزيتسو هو أحد أفضل تلامذة أوكيو إن لم يكن أفضلهم» (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

كدحه في العمل ونشاطه الذي لا مثيل له، ظلت حالته تتدهور من سيء إلى أسوأ كما لو أن الآلهة كانت ضدّه.

لكن روزيتسو نجح في النهاية، وكلّ ذلك بفضل مراقبته لمثابرة سمكة الشبوط.

كثرٌ هم التلاميذ الذين دخلوا مدرسة أوكيو وغادروها بعد روزيتسو، وقد أصبحوا رسّامين ماهرين. مسكين روزيتسو! فهو الوحيد الذي لم يحقّق أي تقدّم طيلة السنوات الثلاث. كان الحزن يملأ قلبه، وقليلاً ما لاقى التشجيع من معلّمه، ومن شدّه حزنه وأساه، فقد الأمل بأن يصبح رساماً ماهراً، وفي مساء أحد الأيام ترك المدرسة ليعود إلى المنزل أو ليقتل نفسه في الطريق إليه. مشى تلك الليلة بطولها، وفي منتصف الطريق، غلبه النعاس والجوع فاستلقى على الثلج تحت أشجار الصنوبر.

قبل بضع ساعات من بزوغ الفجر، استيقظ روزيتسو على صوت جلبة على بعد نحو ثلاثين خطوة منه. لم يتمكّن من النهوض، لكنه جلس يصغي وينظر إلى مصدر الصوت.

عند بزوغ الفجر، رأى أن سمكة شبوط كانت السبب في ذلك الصوت، فقد كانت تقفز وتقفز من الماء محاولةً الإمساك

Twitter: @ketab_n

بقطعة حلوى على قطعة جليد في النهر بالقرب من روزيتسو. بقيت السمكة النهرية تقفز ثلاث ساعات من دون جدوى، وقد كانت أطراف القطعة الجليدية تخدشها وتجرحها إلى أن اصطبغ ماء النهر بلون دمها.

وقف روزيتسو يراقب مثابرتها بإعجاب. ما تركت السمكة طريقةً إلا وجربتها. فكانت أحياناً تهاجم قطعة الجليد من الأسفل، وأحياناً أخرى تقفز في الهواء آملةً أن تسقط عليها علّها تنكسر فتتمكن بالتالي من الإمساك بقطعة الحلوى. وبالفعل كسرت السمكة النهرية قطعة الجليد ووصلت إلى مبتغاها، مجروحةً ومتألمةً نعم، إنما شجاعةً مثابرة.

تأمّل روزيتسو السمكة تسبح وفي فمها قطعة الحلوى وراح يفكّر والإعجاب بمثابرة السمكة يملأ عينيه.

قال لنفسه: «نعم، هذه عبرةٌ يجب أن أستفيد منها. سأكون تماماً مثل هذه السمكة، لن أعود إلى المنزل قبل أن أحقق هدفي. طالما الحياة تنبض في جسدي، سأعمل إلى أن أحقق طموحي. سأعمل أكثر من أي وقت مضى، وحتى إن لم أحقّق أي تقدّم فسأضاعف جهودي حتى أبلغ مبتغاي أو أموت».

Twitter: @ketab_n

بعد اتخاذ هذا القرار، قصد روزيتسو معبداً قريباً وصلّى طالباً النجاح، ثم شكر الآلهة التي مكّنته من رؤية سبيل حياته من خلال مثابرة سمكة الشبوط.

بعد ذلك، عاد روزيتسو إلى كيوتو، وزار معلّمه أوكيو فأخبره قصة السمكة النهرية وأبلغه بالقرار الذي اتخذه.

سُرَّ أوكيو أيما سرور، وفعل ما بوسعه لمساعدة تلميذه. وهذه المرّة حقّق روزيتسو تقدّماً ملحوظاً وأصبح رساماً مشهوراً، بل أفضل التلاميذ الذين تعلّموا على يد أوكيو حتى بلغت مهارته مهارة معلّمه. وفي النهاية أصبح روزيتسو واحداً من أعظم الرسّامين في اليابان.

وتعدّ لوحة سمكة الشبّوط أشهر لوحاته.

Twitter: @ketab_n

أساطير على لسان صياد في بحيرة بيوا في زيزي

أذهب أحياناً للصيد في بحيرة بيوا، وأحياناً أخرى أصطاد بالديناميت على مقربة من البحيرة في زيزي إذ أن التفجير في البحيرة غير مسموح كون مياهها مقدّسة. على ضفة البحيرة، يقبع كوخ صياد عجوز وأولاده ويشكّل هذا الكوخ مرفأً لقواربهم، إلا أنهم لم يزرعوا الأرض حوله، فنبتت الأعشاب البرية وما نبتت من الأشجار إلا شجرة صفصاف واحدة. ويعود السبب في ذلك إلى أنهم ميسورون نسبياً، فهم يملكون شركاً لصيد الأسماك يمتدّ على نحو أكثر من ميل في البحيرة، وهو عار على كلّ الأفكار المتحضّرة المتعلّقة بالحفاظ على الثروة السمكية. وقد حصلوا على الحقوق من الإقطاعي الذي قلعة زيزي منذ نحو مئة سنة أو أكثر (هذا التاريخ يستند إلى توقعاتي، فأنا لم أستعلم عنه). ويلتقط الفخ ما يكفي من الأسماك لأفراد العائلة الأربعة.

إليكم أسطورتان أو ثلاثة (أو حقائق بالنسبة للصياد العجوز) أخبرني بها الصياد نفسه أو ابنه عندما كنت أزور الشرك أو أستريح تحت شجرة الصفصاف متصيداً بعض الحكايات.

Twitter: @ketab_n

قال لي الصياد: «بالتأكيد لست مهتماً يا سيدي بالقصص القديمة، فحتى أولادي لا يأبهون لهذه القصص في هذه الأيام!».

فأجبته: «أنا أهتم بسماع أي شيء ذي أهمية، وسيسرّني أن تقصّ عليّ بعض أساطير الصيادين في هذه البحيرة أو حتى في الشمال الغربي منها».

فقال الصياد: «سأخبرك قصّة كرة النار البغيضة، فأنا شخصياً قد رأيتها مرّات عدّة.

منذ عدّة أعوام، بنى إقطاعيٌّ قلعةً على القمة الجنوبية لجبل هاياي، مازالت بقاياها على مرأى من شمال ثكنات الفوج التاسع العسكرية في أوتسو. وكان اسم ذلك الإقطاعي أكيشي ميتسوهيد، وما نراه أحياناً في الأيام الممطرة في البحيرة ليس سوى شبحه، إنها روح أكيشي.

ويعود السبب في ظهور هذه الروح إلى أن أكيشي ميتسوهيد كان يدافع عن نفسه في وجه تويوتومي، وقد أوشك على التغلّب عليه، إلا أن قلعته بقيت صامدة ولم تتمكّن قوّات تويوتومي من احتلالها. مع مرور الوقت، غضب المحاصرون واستعانوا

Twitter: @ketab_n

بصياد من قرية ماغيزا لإعلامهم بمصدر المياه التي تتزوّد بها قلعة أكيشي. فقطعوا المياه عنها مما اضطرّها إلى الاستسلام بعد أن انتحر أكيشي ومعظم رجاله.

منذ ذلك الحين، في الأيام الماطرة، تظهر من القلعة كرة نار بقطر ستة إنشات أو أكثر. وتشفي هذه الكرة غليل غضبها بالانتقام من الصيادين، فتخرج قواربهم عن مسارها وتلحق بها الخراب. تظهر كرة النار هذه على متن القارب أحيانًا، وفي إحدى المرات، احتجزها صيادٌ في شرك من الخيزران وفتّتها قطعاً نارية صغيرة، وفي ذلك اليوم فُقِدَ الكثير من القوارب.

إن اسمها الكامل هو كرة النار العنكبوت لروح أكيشي الميت. هذا كلّ ما يمكنني إخبارك به، بالإضافة إلى أنني رأيتها بعينيّ وأصابني الرعب».

فقلت له: «إنها قصّة مشوّقة وقد أعجبتني حقاً. فما رأيك في أن تخبرني بالمزيد؟».

«إذا وجدتَ يا سيدي أن هذه القصّة البسيطة مشوّقة فلابدّ من أنك ستحبّ الاستماع إلى السبب وراء العاصفة المريعة في الخامس والعشرين من شهر فبراير من كل سنة.

Twitter: @ketab_n

منذ زمن بعيد، عاشت في قرية كوماتسو، على ضفة البحيرة الجنوب شرقية، فتاةٌ جميلةٌ اسمها تاني. وكانت ابنة فلاح غني، نالت من العلم بقدر ما كان يُسمَح لفتاة بالتعلّم في تلك الأيام. كانت تاني تحبّ التعلّم ومعرفة أمور خارج دائرة اختصاص النساء. فغالباً ما كانت تجتاز البحيرة في قارب وحدها، تزور راهباً شاباً غايةً في الذكاء، وهو رئيس الكهنة في أحد أصغر المعابد أسفل جبل هاياي، تماماً حيث تنظر الآن.

أُعجِبَت الآنسة تاني أيما إعجاب بمعرفة الكاهن لدرجة أنها وقعت في غرامه، فأصبحت تتردّد إليه باستمرار. وغالباً ما كانت تجتاز البحيرة وحدها بالرغم من معارضة والديها الشديدة، حتى في الأيام التي كانت فيها الأمواج العالية تهدّد حياة أكثر الصيادين حنكةً من أمثالي.

في النهاية لم تتمكّن الآنسة تاني من مقاومة مشاعرها، فشعرت أنها يجب أن تصارح الكاهن بحبّها وتقنعه بالتخلّي عن المعبد والهرب معها.

شعر الراهب بحزن شديد ولم يعرف ماذا يقول أو كيف يرفض طلب الفتاة. فخطر على باله أن يولي إليها مهمّة مستحيلة. كان يعلم أن الطقس في بحيرة بيوا يحول دون تمكّن القوارب

Twitter: @ketab_n

الصغيرة من اجتياز البحيرة في نهاية شهر فبراير، لكنه لم يكن على درجة كبيرة من الجدية في ذلك الوقت، فقال: أيتها الآنسة تاني إذا تمكّنت في مساء الخامس والعشرين من فبراير من اجتياز البحيرة في حوض للاستحمام، فعندها سيكون ممكناً أن أتخلّى عن دعوتي تحقيقاً لرغباتك.

لم تفكّر الآنسة تاني بالمستحيل، كما أنها لم تفهم المعنى الحقيقي لكلام الكاهن، فقد كانت شابة يعميها الغرام. عادت إلى المنزل وهي تفكّر أن المرّة القادمة التي ستجتاز فيها هذه البحيرة ستكون في حوض استحمام وستعود مع الكاهن الشاب زوجاً لها، وكانت الفرحة تملأ قلبها.

وأخـيراً، حلّ الخامس والعشرون من شهر فبراير، وقد حرصت الآنسة تاني على وضع أفضل وأكبر حوض استحمام على ضفة البحيرة. حلّ المساء، فركبت مركبها الضعيف من دون الشعور بأي خوف أو قلق.

عندما وصلت تاني إلى منتصف الطريق، ضربت عاصفةٌ مخيفةٌ جبل هاياي. فارتفعت الأمواج وهبّت رياحٌ قويّة أطفأت النور الذي اعتاد أن يكون على سفح جبل هاياي من ناحية البحيرة، والذي وعد الكاهن أن يكون مشرقاً في تلك الليلة. ولم يمضِ

Twitter: @ketab_n

وقتٌ طويلٌ حتى انقلب حوض استحمام تاني وبالرغم من الجهود التي بذلتها لتبقيه عائماً، وسرعان ما غرقت بين الأمواج العاتية.

ويقال إن الكاهن هو من أطفأ النور ليقطع آخر أمل أمام الآنسة تاني في بلوغ الضفة المقابلة.

منذ تلك الليلة التي غرقت فيها الآنسة تاني، كان الخامس والعشرون من فبراير ممطراً وعاصفاً حتى إن الصيادين لم يجرؤوا على الخروج في هذا اليوم. ويقال إن السبب هو روح المسكينة تاني المعذّبة التي، بالرغم من أنها لم تخشَ الموت، ماتت مكسورة القلب بسبب الراهب الذي أحبّته.

انجرف حوض الاستحمام الذي استعملته الآنسة تاني إلى البرّ عند قرية كينوهاما، في مقاطعة أومي الشرقية. وقد وجده جينسوكي وسحبه وتأكّد أنه حوض الآنسة تاني. عندما علم سكّان كينوهاما ومن بينهم جينسوكي نفسه، قرّروا أن الخامس والعشرين من شهر فبراير من كل سنة سيكون يوم احتفال بالنسبة لهم وستُقام الصلاة عن روح الآنسة تاني. وقد أطلقوا على هذا اليوم اسم جويا واعتبروه يوم عطلة».

Twitter: @ketab_n

قلت للصياد: «هذه قصة مشوّقة لكنّني أتمنى أن أضع الراهب في حوض استحمام آخر في الخامس والعشرين من فبراير المقبل لأتأكد من أنه سيغرق بالطريقة نفسها».

سألني الصياد: «هل تعلم سيدي لِمَ الأوراق الصغيرة كلّها معلّقة بالصخور السوداء في إيشياما ديرا؟».

فأجبتُ: «كلا، لا أعلم، وعندما قصدت ذلك المكان لم يرد أحدٌ إخباري».

قال لي: «لا تمت هذه القصّة للملل بصلة، سأخبرك بها فهي قصّة قصيرة.

بما أنك يا سيدي ذهبتَ إلى إيشياما ديرا فأنت تعرف المعبد والدير وتاريخهما منذ ألف ومئة سنة[1]، لكن قلّة هم الذين يعرفون السبب الحقيقي الذي يبقي أوراق الصلاة الصغيرة معلّقة بالصخور السوداء.

يعود السبب وراء تعلق أوراق الصلاة هذه بالصخور إلى قصة جميلة، إن كان الانتحار بسبب الحبّ أمرًا جميلاً.

(1) أسّس الراهب ريوبين سوجو المعبد في العام 749 م. بطلب من الميراطور شوماي، وهو المكان المقدّس الثالث عشر من بين الأماكن المقدّسة الثلاثة والثلاثين (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

منذ سنوات عدّة، في شارع بابا المعروف بشارع شيبايا في أوتسو، كان مقهى اسمه كاغيا، حيث تعمل مغنيات وراقصات يابانيات جميلات. ومن بين هؤلاء الراقصات، فتاة اسمها تاغا هانا فاق جمالها كل تصوّر. كانت في السابعة عشرة من عمرها، لكن قلبها لم يكن ملكاً لها، فهي بنفسها سلّمته لحبيبها دانباي الذي بدوره أهداها قلبه. من الصعب تخيّل ولادة هذا الحبّ، فدانباي بائع أرزّ في أوتسو، ولا يملك سوى القليل من المال يعطيه أجراً للمغنية والراقصة خاصةً في مقهى مترف مثل كاغيا.

تسلّلت الغيرة والتعاسة إلى قلب دانباي، ليس بسبب أي خيانة ارتكبتها الآنسة تاغا هانا بل لأنه كان يشعر بالغيرة من الآخرين الذين كانوا يستمتعون في مقهى كاغيا بمشاهدة تاغا هانا ترقص وسماعها تغنّي أثناء تناولهم أشهى وأغلى الأطباق.

فدفعت به هذه الأحزان إلى تزوير حسابات سيدته، وغالباً ما كان يسرق منها المال لينفقه، من دون شك، في مقهى كاغيا من أجل مشاهدة حبيبته الآنسة تاغا هانا.

لم تدم هذه الحالة طويلاً، فعندما أخبر دانباي الآنسة تاغا هانا كيف كان يحصل على المال ليأتي ويشاهدها، أصيبت بصدمة كبيرة.

Twitter: @ketab_n

وقالت له: «سرعان ما سينكشف ما تفعله من أجلي يا عزيزي بدافع الحبّ، وحتى إن لم ينكشف فما تفعله أمر سيء. حبّنا أجمل من أن يكون حقيقياً وليس لدينا سوى فرصة واحدة لعيش مستقبل سعيد معًا، يجب أن ننتحر معاً. لا شيء آخر سيتمكّن من توحيدنا، فإذا هربت معك سيمسكون بي قبل مضي يوم وليلة على هروبنا».

فقال لها دانباي: «هل تهربين معي الليلة؟».

سأنتظرك في الساعة الثانية فجراً، عندما يكون الجميع نيامًا، بالقرب من شجرة الصنوبر عند آخر القرية من الجهة الشرقية. سننطلق من هناك إلى إيشياما ديرا، وبعد أن نصلّي في ذلك المعبد المقدّس لإلهة الرحمة كوانون سننتحر معاً في وادي هوراتو داني وستبقى روحانا معاً إلى الأبد».

انحنى دانباي أمام حبيبته متمتماً بعض كلمات التقدير لإخلاصها ومعبّراً لها عن حبّه الذي كان دافعه إلى الخطيئة، ثم وعدها بملاقاتها في الوقت المحدّد بالقرب من شجرة الصنوبر عند البحيرة ليأخذها معه إلى إيشياما لينتحرا معاً.

Twitter: @ketab_n

لن أطيل القصّة أكثر يا سيدي، سأكتفي بإخبارك أن دانباي والآنسة تاغا هانا التقيا وبعد أن اجتازا سهل أواتسو، وصلا إلى جسر سيتا وعبراه ليصلا مع بزوغ الفجر إلى إيشياما. وهناك، جلسا في أحد المقاهي بضع ساعات والسعادة تغمرهما، ثم قصدا المعبد لتقديم الصلاة لإلهة الرحمة كوانون. وبعد ذلك، توجّها إلى وادي هوتارو داني، حيث تعانقا للمرّة الأخيرة على هذه الأرض، وكتب كلّ منهما صلاةً على ورقة صغيرة ولفّاها بخيط صغير عقداه عقدةً مزدوجة، ثم وضعا الورقة في ثقب صغير في الصخور السوداء الملساء. ويُعتبَرُ ما فعلاه فألاً جيداً ويبشر بأن السعادة تنتظرهما بعد الموت كأنما صلواتهما استُجيبَت.

ماتت روحاهما معاً مع هبوب نسيم فصل الخريف حاملاً معه أوراق الأزهار العطرة تحت جسر سيتا.

هذا هو يا سيدي السبب وراء تعليق هذه الأوراق بالصخور السوداء وأماكن أخرى في إيشياما ديرا. وما زال سكّان القرى الذين يقصدون الوادي للصلاة لروح دانباي والآنسة تاغا هانا، يمارسون هذه العادة».

Twitter: @ketab_n

السيف الخارق

في العام 110 ق.م. عاش أميرٌ شجاعٌ مشهورٌ في تاريخ اليابان اسمه ياماتو دايك نو ميكوتو[1]. كان ساموراي شجاعاً، ومثله تماماً كان ابنه الذي يقال إنه تزوّج الإمبراطورة جينغو. وفي كل الأحوال ليس ذلك بذي أهمية لقصتي هذه، وهي أسطورة عن السيف الخارق المعروف بـ كوساناغي نو تسوروغي أي السيف قاطع الأعشاب، ويُعتبَرُ هذا السيف واحدًا من الكنوز المقدّسة الثلاثة، وقد تمّ توارثه أبًا عن جدّ في الأسرة الإمبراطورية. وما زال هذا السيف في مزار أتسوتا في مقاطعة أواري.

بحسب التاريخ الذي زوّدني به المترجم الفوري، أي في العام 110 ق.م. (يجب أن أضيف كلمة تقريباً)، نجح ياماتو دايك نو

(1) ياماتو دايك نو ميكوتو هو أحد أبناء الإمبراطور كايكو الثمانين، وبطل عظيم في العصور القديمة. كان ما زال مراهقاً عندما أرسله والده للقضاء على المتمرّدين في غرب اليابان، فاستعار عباءةً من عمّته التي كانت كاهنةً في إيسي، ومتنكراً، جعل قادة المتمرّدين يُغرمون به في أثناء الاحتفال في الكهف حيث كانوا. وفجأةً، استلّ السيف من غمده وقتلهم. بعد ذلك أخضع مقاطعة إيزومو، وغزا شرق اليابان الذي كان في ذلك الحين صحراء قاحلة. بعد خوض الكثير من المغامرات، الحربية والغرامية، مات ياماتو في طريق العودة إلى موطنه (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

ميكوتو في قمع المتمرّدين المعروفين باسم كوماسو في كيوشو. كان رجلاً قوياً يقود قوّةً من الرجال المدرّبين تدريباً جيداً، فقرّر قمع المتمرّدين حتى السواحل الشمال شرقية.

لكن قبل أن يبدأ بمهمة القمع هذه، فكّر ياماتو دايك نو ميكوتو أن عليه الذهاب إلى مدينة إيسي للصلاة في معابدها وطلب العناية الإلهية، ولزيارة عمّته التي تسكن على مقربة من المكان. أمضى ياماتو دايك خمسة أو ستة أيام مع عمّته الأميرة ياماتو التي أفصح لها عن نيّته في قمع المتمرّدين. فما كان منها إلا أن قدّمت له أفضل كنوزها، السيف الخارق، بالإضافة إلى علبة من الصوان ومواد قابلة للاشتعال.

وقبل رحيل ابن أخيها ياماتو دايك نو ميكوتو، قالت له: «هذا السيف هو أغلى ما يمكنني تقديمه لك، وهو سيحميك من كل المخاطر. أرجو منك أن تحافظ عليه إذ سيكون أحد الكنوز المقدّسة».

تقول الأسطورة إنه في عصر الآلهة وجد سوسانو نو ميكوتو رجلاً عجوز وامرأة يبكيان أيما بكاء لأن ثعباناً عملاقاً بثمانية رؤوس التهم سبعاً من بناتهما، ولم تبقَ سوى واحدة سيأخذها الثعبان هي أيضاً. سألهما سوسانو نو ميكوتو إن كانا يوافقان

Twitter: @ketab_n

على إعطائه ابنتهما إذا تمكّن من قتل الثعبان فوافقا على طلبه بسرور. ملأ سوسانو ثمانية دلاء بشراب الساكي الكحولي، ووضعها حيث رجّح أن يأتي الثعبان، ثم اختبأ في موضع قريب وانتظر. جاء الوحش وشرب الرؤوس الثمانية من الدلاء الثمانية المليئة بالساكي حتى الثمالة. فهجم سوسانو عليه وقطّعه إرباً، فوجد في ذيله سيفاً، إنه السيف الخارق كوساناغي نو تسوروغي أو السيف قاطع الأعشاب في قصّتنا.

ودّع الأمير عمّته ياماتو نو ميكوتو وانطلق في اتجاه مقاطعة سوروغا، على الساحل الشرقي، ليستمع إلى أخبار الناس في تلك المنطقة التي كانت تشهد تمرّداً، وفيها تعرّض ياماتو دايك نو ميكوتو للخطر الأول عندما نصب له أعداؤه فخاً عندما علموا بولعه بالصيد.

كانت بعض السهول الكبيرة تعجّ بالسكّان في مقاطعة سوروغا، مكان قرية ياتسو مورا (وتجدر الإشارة إلى أن كلمة ياتا تعني الحقول المشتعلة). فكّر المتمرّدون بأن يذهب واحدٌ منهم ويدعو ياماتو دايك إلى مرافقته إلى الصيد، بينما يختبئ آخرون بين الأعشاب العالية إلى أن يقود المتمرّد ياماتو دايك إلى وسطهم فيهاجمونه ويقتلونه. وبالفعل، أرسلوا إلى ياماتو دايك

Twitter: @ketab_n

رجلاً مقنعاً ذكياً ليخبره بوجود الكثير من الأيائل بين الأعشاب العالية في السهل، ودعاه إلى مرافقته للصيد، وقد تطوّع ليكون دليلاً له.

كانت الدعوة مغرية، وقد وجد الأمير ياماتو دايك المنطقة أقل تمرّداً ممّا توقّع فقبل الدعوة.

في الصباح، حمل الأمير قوسه وسهامه بالإضافة إلى السيف الذي أعطته إياه عمّته الأميرة ياماتو. كان ذلك اليوم عاصفاً، ففكّر المتمرّدون أن العشب جاف أي أن ذلك لن يعرّض حياتهم للخطر. فإذا أشعلوا العشب بشكل صحيح ستنطلق ألسنة النار بسرعة البرق نحو الأمير أما هم فسيكونون بأمان.

فعل ياماتو دايك ما توقعوه تماماً، فأتى مطمئنّ البال من دون أن يشكّ بشيء. فجأةً اندلع حريقٌ أمامه ومن حوله ففهم الأمير أنهم أوقعوا به. اختفى المرافق الغدّار وواجه الأمير وحده خطر الاختناق والموت. كان الدخان كثيفاً مريعاً وألسنة اللهب الحارقة تمتدّ بسرعة فائقة.

حاول ياماتو دايك الهرب من المكان الوحيد المُتاح له لكن الأوان كان قد فات، فبدأ يقطع الأعشاب بسيفه ليمنع

Twitter: @ketab_n

النار من الوصول إليه. ووجد أنه عندما يقطع بسيفه بأي اتجاه كان، يتغيّر اتجاه الريح في هذا الاتجاه. فإن قطع الأعشاب على الجهة الشمالية، تغيّر الرياح اتجاهها نحو الجنوب حائلةً دون تقدّم الحريق، وإن قطع الأعشاب في الجهة الجنوبية، تغيّر الريح مسارها نحو الشمال. وقد ساعد ذلك ياماتو دايك في الانتقام من أعدائه، فأخذ المادة المشتعلة من العلبة التي أعطته إياها عمّته وأشعلها ورماها بالقرب من أعدائه، وراح يقطع الأعشاب في الاتجاه الذي يريد النار أن تسلكه، حتى نجح في النهاية بقلب المكيدة ضدّ أعدائه والقضاء عليهم.

تجدر الإشارة إلى أنه يقال إن في مزار أتسوتا في مقاطعة أواري سيفٌ يقال إنه السيف الخارق، ويُقامُ احتفالٌ على شرف هذا السيف في الواحد والعشرين من شهر يونيو من كل عام.

بعد ذلك، اتّجه ياماتو دايك نو ميكوتو إلى مقاطعة ساغامي حيث وجد الوضع هادئاً فركب سفينةً إلى مقاطعة كازوسا ترافقه حبيبته المغرَم بها أيما غرام، وقد اكتسبت لقب أميرة نظراً لمركز ياماتو دايك. كان اسمها تاشيبانا. وما كادا يبتعدان عشرة أميال عن الشاطئ حتى هبّت عاصفةٌ قويةٌ هدّدت السفينة بالغرق.

Twitter: @ketab_n

فقالت الأميرة تاشيبانا: «هذا من أعمال أحد آلهة البحر المتعطشة إلى أرواح الناس. سأعطيها روحي يا سيدي، علّها ترويها قليلاً إلى أن تكون قد وصلت إلى برّ الأمان».

ومن دون سابق إنذار، رمت الأميرة تاشيبانا نفسها في البحر، فغمرتها الأمواج المرعبة القاتلة، وفطرت قلب ياماتو دايك.

وتماماً كما توقّعت الأميرة تاشيبانا، ارتوت آلهة البحر، واستكانت الرياح، وهدأت الأمواج، ووصلت السفينة إلى مقاطعة كازوسا بأمان. وصل ياماتو دايك إلى ييزو، وقد قضى في طريقه على بعض المتمرّدين.

بعد مضيّ بضعة أعوام، وجد ياماتو دايك مع بعض من جنوده إلى جانب تلّة في مقاطعة ساغامي مطلاً على البحر الذي رمت فيه الأميرة تاشيبانا نفسها مضحيّةً بحياتها من أجل حبيبها. نظر الأمير بحزن عميق إلى البحر وبالرغم من الشجاعة التي كان يتحلّى بها، راح يهتف من حزنه لحبيبته قائلاً أزوما وايا (أي الوداع يا زوجتي العزيزة) والدموع تنهمر على خدَّيْه.

Twitter: @ketab_n

موكب الأشباح[1]

منذ نحو أربعمئة أو خمسمئة سنة، كان معبدٌ غير بعيد عن فوشيمي، على مقربة من كيوتو. وكان اسم المعبد شوزنجي وقد بقي مهجوراً لسنوات عدّة بسبب خشية الكهنة من السكن فيه بسبب الأشباح التي يقال إنها تسكنه. إلاّ أن أحداً لم يرَ هذه الأشباح يوماً. لا شكّ أن هذه القصّة دخلت عقول الناس بسبب موت الكهنة الذين قُتِلوا على يد مجموعة من اللصوص منذ سنوات بعيدة جداً، وذلك بهدف السرقة.

(1) بين عامَيْ 1400 و 1550 عاشت أسرةٌ من الرسامين المشهورين على مرّ ثلاثة أجيال، الأمر الذي يجعل الدقّة في التكلّم عنها أمراً صعباً. فكان توزا ميتسونوبو وكانو ميتسونوبو وهازيغاوا ميتسونوبو، وكان توزا ميتسونوبو يوقّع أحياناً لوحاته باسم فوجيوارا ميتسونوبو، وكان أيضًا رسّامون مشهورون آخرون أمثال كانو ماسانوبو وكانو موتونوبو اللذين تتشابه أسماؤهما، لذا يسهل تخيّل الصعوبات التي من الممكن مواجهتها في ما يتعلّق بالأسماء والتواريخ. إلا أن صديقي العزيز، سعادة الحاكم السيد هاتوري أمدّني بالمعلومات وهو على اطلاع كبير بالفنّ. لا شكّ أن توزا ميتسونوبو هو الذي رسم اللوحة الشهيرة هياكي ياكو أو موكب المئة شبح، وقد كانت هذه اللوحة مرجعاً في رسم الأشباح والعفاريت والجنّ وكل التسميات التي تعرفونها. وحسب تقديري، رُسِمَت هذه اللوحة في نهاية النصف الأول من القرن الخامس عشر (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

أصابت هذه الحادثة الجميع بالرعب فبقي المعبد مهجوراً لا يتجرأ أحدٌ على دخوله.

وفي سنة من السنوات، مرّ بالمعبد كاهنٌ حاجٌ غريبٌ ولم يكن يعرف تاريخ هذا المعبد، فدخله بهدف الاحتماء من الطقس قبل أن يكمل رحلته إلى فوشيمي. وكان يحمل في حقيبته بعض الأرزّ، فشعر أنه من الأفضل أن يمضي ليلته في المعبد لأن الطقس في الخارج باردٌ فيحول بذلك دون تبلّل ملابسه ليستيقظ بشكل أفضل في الصباح.

اختار الرجل الطيب أفضل غرفة في المعبد ليبقى فيها، وبعد أن تناول طعامه، تلا صلواته واستلقى لينام، وكان المطر في الخارج ينهمر بغزارة والرياح تعصف في مبنى المعبد الضعيف. حاول الكاهن جاهداً أن ينام لكنه لم يفلح، فالهواء البارد كان يخترق عظامه، ومع اقتراب منتصف الليل، سمع أصواتاً غريبةً غير طبيعية، بدت صادرة من المبنى الرئيسي.

نهض الكاهن والحشرية تملأه، وتوجّه إلى المبنى الرئيسي ليجد «هياكي ياكو» أي موكباً من مئة شبح. تعاركت الأشباح وتصارعت ورقصت وابتهجت. ذُعِر الكاهن في البداية لكن خوفه زال فوقف يشاهد الأشباح. إلاّ أنه لم تمرّ لحظات حتى

Twitter: @ketab_n

ظهرت الأشباح المرعبة. فهرب الكاهن مسرعاً إلى الغرفة الصغيرة وأوصد بابها وأمضى بقية الليلة يتلو الصلوات على أرواح الموتى.

عند بزوغ الفجر، رحل الكاهن بالرغم من هطول المطر، وأخبر سكّان القرية بما رآه فانتشر الخبر بصورة واسعة حتى أصبح المعبد في غضون ثلاثة أو أربعة أيام يُعرَف على أنه أسوأ معبد مسكون بالأشباح في الجوار.

سمع الرسّام المشهور في ذلك الوقت توزا ميتسونوبو الخبر، هو الذي دائمًا ما رغب في رسم لوحة تجسّد موكب أشباح. ففكّر أن رؤيته موكب الأشباح في معبد شوزينجي ستكون ضرورية لإلهامه. فما كان منه إلا أن انطلق إلى فوشيمي وشوزينجي.

توجّه ميتسونوبو مباشرةً إلى المعبد الذي كانت تلفه عتمة الليل الحالك، وجلس طيلة الليل ينتظر لكنه لم يرَ شبحاً ولا سمع ضجةً.

في صباح اليوم التالي، فتح ميتسونوبو النوافذ والأبواب كلّها، وأنار المبنى الرئيسي للمعبد ليُفاجأ بجدران المبنى مليئةً برسومات تصوّر أشباحاً بدقة متناهية، وكان عدد الرسومات يتخطّى المئتين لا تشبه أي منها الأخرى.

Twitter: @ketab_n

فكّر توزا ميتسونوبو إن كان سيتمّكن من تذكّر هذه اللوحات كلّها! فما كان منه إلا أن أخرج دفتره وريشته من حقيبته وراح ينقل الرسومات، وقد استلزمه ذلك شطراً كبيراً من النهار.

عندما كان ميتسونوبو يدقّق في خطوط الأشباح والعفاريت التي يرسمها، لاحظ أن أروع الأشكال تسبّبت بها الشقوق في جدران المعبد المهجور، فقد نبت العفن الفطري على هذه الشقوق بسبب الرطوبة وهو الذي أعطى الرسومات لوناً ولا سيما الرسومات التي جمعها لرسم لوحته الشهيرة هياكي ياكو (موكب الأشباح). كان ميتسونوبو ممتناً للكاهن الذي قاده من خلال قصصه إلى هذا المكان، فمن دونه لما كان من الممكن رسم هذه اللوحة ولا تمكّن عقل أي إنسان من تصوّر هذه الأشكال الغريبة والمريبة للأشباح والعفاريت، مهما شطح به الخيال.

Twitter: @ketab_n

الخادم المخلص[1]

في عهد الإمبراطور أنغي الذي بدأ في العام 901 م.، عاش رجلٌ اشتهر اسمه بسبب كتاباته الشعرية والنثرية الرائعة. كان المفضّل لدى الإمبراطور وبالتالي ذا أهمية كبيرة، وكان اسمه سوغاوارا ميشيزان. ولا حاجة للقول إنه لم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتى أصبح، مع كلّ هذه الامتيازات، رئيساً للحكومة، يعيش برفاهة.

في البداية سارت الأمور بشكل جيّد، لكن المحتوم وقع. لم يوافق الناس جميعاً على أفكار ميشيزان أو سياساته، وكان أعداؤه له بالمرصاد. ومن بين هؤلاء رجلٌ سيءٌ اسمه توكيهيرا، وقد كانت خدعه السامة تطاول البلاط بشكل متواصل.

شغل توكيهيرا منصباً في الحكم أدنى من ميشيزان، وكان يكرهه أيما كراهية، ويفكّر أنه إذا تمكّن من تشويه صورته في نظر الإمبراطور، فسيصبح هو قائداً في الحكم.

(1) أخبرني السيد ماتسوزاكي من كينشو (وهو موظف رسمي) هذه المأساة ليظهر لي الإخلاص العميق الذي كان موجوداً منذ ألف سنة (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

كان ميشيزان بعيداً كل البعد عن الخطأ، مما جعل من المستحيل على توكيهيرا أن يجد سبباً يخوّله رفع تقارير مشينة بشأنه لكنه ظل عازماً على إلحاق الأذى به.

وأخيراً، ابتسم الحظّ لتوكيهيرا الذي أوكل جواسيس ليتربّصوا لأي خطأ يرتكبه ميشيزان ليبلغ الإمبراطور عنه. وسمع توكيهيرا أن الأمير توكي (توكي نو ميا) وقع سرّاً في حبّ ابنة ميشيزان الفائقة الجمال وأنهما يلتقيان سراً.

سُرَّ توكيهيرا لسماع هذا الخبر أيّما سرور، وذهب رأساً إلى الإمبراطور الذي استقبله بعد أن علم أن لديه خبراً مدهشاً عن مؤامرة ما.

قال توكيهيرا: «يؤسفني جداً إبلاغ جلالتك بهذه المؤامرة، لكن سوغاوارا ميشيزان عمل على أن يقع ابن جلالتك الأمير توكي في حبّ ابنته. يحزنني أن أقول لكم إنهما يلتقيان سرّاً، كما أن ميشيزان يخطّط لقتل جلالتك أو على الأقل خلعكم عن العرش ليستلمه الأمير توكي الذي سيتزوّج ابنة ميشيزان».

كان من الطبيعيّ أن يغضب الإمبراطور أنغي، فقد كان امبراطوراً صالحاً وقد حكم الشعب بمساعدة ميشيزان حكماً

Twitter: @ketab_n

عادلاً صارماً، ولطالما اعتبره صديقاً له، وما كان ليحتمل أن يتآمر على قتله أو خلعه ليرث الأمير توكي العرش من بعده فيزوّجه ميشيزان من ابنته.

فما كان من الإمبراطور إلا أن استدعى ميشيزان.

اعترض ميشيزان على هذه الاتهامات التي وُجِّهَت له وقال إنه بريءٌ منها. صحيحٌ أن الأمير مُغرَمٌ بابنته، لكن لا عجب في ذلك، فابنته فائقة الجمال، وهي والأمير من العمر نفسه تقريباً، وقد نشآ معاً في طفولتهما. والآن وقد كبرا، وجدا أن صداقتهما تحوّلت إلى حبّ. هذا كل ما في الأمر. ليس من السهل على أمير تجري في عروقه دماء ملكيّة أن يقابل الفتاة التي يهواها قلبه في العلن كما يفعل أي شخص آخر. ولا شكّ أنهما تقابلا فابنته أخبرته بذلك. أما في ما يتعلّق بالمؤامرة التي تحدّث عنها توكيهيرا فهي عارية عن الصحّة ومن الغريب جداً سماع اتهام حقير مماثل.

رأى توكيهيرا الغضب على وجه الإمبراطور، فما كان منه إلاّ راح يشكّك في براءة ميشيزان بإطلاق الأكاذيب الرخيصة والكلمات النابية، فأمر الإمبراطور بنفي ميشيزان إلى تسوكوشي في جزيرة كيوشو.

Twitter: @ketab_n

ذهب ميشيزان إلى المنفى يرافقه خادمه المخلص ماتسو وحده. لم يكن عقاب ميشيزان عادلاً، وقد رافقه طرد الكثير من الموظفين المقرّبين منه، ومن بينهم تاكيباياشي غينزو وهو أحد مرافقي ميشيزان. كان غينزو أحد تلاميذ ميشيزان في الأدب، لذا ليس من الغريب أنه عندما فقد وظيفته، هرب إلى قرية صغيرة وبداعي الاحترام، أخذ معه زوجة ميشيزان وابنه الصغير كانشوساي البالغ من العمر عشرة أعوام. في تلك القرية، غيّر كلٌّ منهم اسمه ومن أجل إعالتهم، أسّس غينزو مدرسةً صغيرة.

بهذه الطريقة تمكّن كانشوساي من الهروب مؤقتاً من المصير الذي رسمه له توكيهيرا.

سمع الخادم المخلص ماتسو الذي رافق سيده ميشيزان إلى المنفى، بالمكيدة الخسيسة لقتل ابن سيده، وبعد أيّام عدّة من القلق والتفكير في طريقة تحول دون موت كانشوساي، لم يجد سوى طريقةً واحدة وهي التضحية بابنه بدلاً منه.

في البداية أخبر سيده المنفيّ بنيّته، وبعد أن حصل على إجازة من سيّده، توجّه إلى كيوتو يبحث عن توكيهيرا، وعندما وجده عرض عليه خدماته خادماً له وباحثاً عن كانشوساي ابن ميشيزان. فما كان من توكيهيرا إلا أن قبل ظنّاً منه أنه بهذه

Twitter: @ketab_n

الطريقة سيجد الولد الذي يريد قطع رأسه. وفي هذا الوقت كان توكيهيرا قد سرق مكانة ميشيزان عند الإمبراطور وأصبح يتمتّع بسلطة كبيرة لدرجة أن رغباته كانت أشبه بالقوانين.

أدّى ماتسو دوره جيداً في حضوره في منزل توكيهيرا وبين الخدم، ولم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتى اتفق الجميع على أن ماتسو هو الأكثر إخلاصاً لسيده الجديد وأصبح محطّ ثقة.

بعد فترة قصيرة، علم توكيهيرا أن كانشوساي متخفّ تحت اسم آخر ويرتاد مدرسةً يملكها غينزو. فوصل غينزو أمرٌ بتسليم الولد إلى توكيهيرا في غضون ثمانية وأربعين ساعة.

سمع ماتسو المخلص ذلك، فما كان منه إلا أن تنكّر وتوجّه إلى مدرسة غينزو وأخبره بخطته لإنقاذ كانشوساي فأظهر أتمّ استعداده. بعد ذلك، أرسل ماتسو ابنه كوتارو إلى مدرسة غينزو التي لم يعد منها الولد المسكين حيّاً، فبالرغم من أن غينزو لم يحبّ قتل الولد، إلاّ أنه استجمع قواه من أجل سيده السابق ومن أجل إنقاذ حياة كانشوساي.

وصل رجال توكيهيرا إلى المدرسة في الوقت المحدّد وأمسكوا برأس الولد وعادوا به إلى توكيهيرا وقالوا له: «الآن

Twitter: @ketab_n

يا سيد توكيهيرا لم يعد من داع للخوف من ابن ميشيزان في المستقبل، ففي هذه العلبة تجد رأسه. أرأيت؟ لقد لبى صاحب المدرسة تاكيباياشي غينزو أوامر جلالتك وقتل الولد».

سُرَّ توكيهيرا بهذا الخبر لكنه لم يكن متأكّداً من أن هذا الرأس هو رأس كانشوساي، فما كان منه إلا أن استدعى ماتسو علماً أنه كان يعمل خادماً لميشيزان لكي يتعرّف إلى رأس كانشوساي، وطلب منه إخراج الرأس من العلبة والتعرّف إليه.

مسكين ماتسو! سيتألّم أيما ألم عندما سيرفع رأس ابنه الوحيد كوتارو بشعره من العلبة ليؤكّد للسيد توكيهيرا أنه رأس كانشوساي ابن ميشيزان! لكنه فعل ذلك بأعصاب فولاذية، منقذاً حياة كانشوساي ومؤدياً واجبه تجاه سيده المنفي ميشيزان.

وما زال إخلاص ماتسو حتى الآن محطّ تقديرعند كل من يعرف القصّة.

لم يمضِ وقتٌ طويل حتى ضربت كيوتو عاصفةٌ رعدية، وأصابت الصاعقة منزل توكيهيرا فقتلته. يقول الناس أن روح ميشيزان تجسّدت في شكل صاعقة وعادت لتنتقم من توكيهيرا.

Twitter: @ketab_n

سندات الأمير هوزوكاوا القيّمة[1]

قبل مئات السنين، عاشت في أراضي هوزوكاوا أرملةٌ وابنتها الجميلة كازوي البالغة من العمر سبع عشرة سنة. قُتِل والد الآنسة كازوي بطريقة شنيعة قبل نحو ستة أشهر وقرّرت كل من الفتاة وأمّها أن تكرّسا حياتهما وثروتهما للإمساك بالمجرمين ومحاكمتهم. ولم تحصلا على أي مساعدة في جهودهما هذه، فأنفقتا أموالهما ممّا اضطرّهما إلى تسوّل لقمة العيش. لكنهما بقيتا تصلّيان في المعبد طالبتين المساعدة يوماً بعد يوم، ولم تفقدا لحظةً العزيمة على تحقيق هدفهما. وأخبرت الآنسة كازوي والدتها أنها ولو كانت محظوظة بما فيه الكفاية ليكنّ لها رجلٌ الحبّ فستضحي بحبها هذا من أجل الانتقام لوالدها.

في أحد الأيام، كانت كازوي الفقيرة وأمّها عائدتين من الصلاة في المعبد، فتحرشت بهما مجموعة من الشبان. وتصادف مرور مقاتل ساموراي وسيم شاب اسمه أوكاوا جوموبمون، فاستل

(1) أخبرني هذه القصّة السيد ماتسوزاكي ويقول إنها صحيحة وأن الوثائق في حوزة الأمير هوزوكاوا الحالي (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

سيفه وسرعان ما فرّ أولئك الشبان مذعورين. ثم انحنى المحارب احتراماً للسيدتين وسأل من هما اللتان تشرّف بخدمتهما.

أجابت الآنسة كازوي عن أمها وأدركت على الفور أن هذا المحارب الوسيم هو تماماً من حلمت به دائماً، ومن تمنّت أن يُغرَمَ بها ويساعدها على معرفة من قتل والدها. لذا لم يكن من الغريب أن تفسح له في المجال ليقع في غرامها. في هذه الأثناء، وجد لها أحد أصدقاء والدها الذي كان يشعر ببالغ الأسى عليها، عملاً في منزل الأمير هوزوكاوا. وسرعان ما صارت كازوي مميّزة جداً عند الأمير لدرجة أن الخادمات الأخريات بدأن يغرنَ منها.

وفي مساء أحد الأيام، شعر أوكاوا المتيّم بحبّ الآنسة كازوي وبالرغم من كونه خادماً عند سيد آخر، شعر بحاجة ملحّة إلى رؤيتها مهما كلّفه الأمر. فدبّر لقاءً سرياً وتمكّن من الدخول إلى غرفة كازوي التي كانت تتملّكها الرغبة بالانتقام، فما كان منها إلا أن أفصحت له عن قصّتها طالبةً المساعدة.

وعد الفارس الشجاع أوكاوا بأنه لن يتفوّه بأي كلمة بشأن الحبّ قبل أن يمسك بنفسه بقتلة والد كازوي ويقتلهم. وما كاد ينهي كلمته حتى ظهرت إحدى الخادمات الحسودات (وقد كانت تسترق السمع) وأسرعت إلى ربّة المنزل تخبرها بما سمعت.

Twitter: @ketab_n

فأُمسِك بأوكاوا وهو خادم السيد الآخر وهو يتحدّث سراً إلى إحدى خادمات هوزوكاوا! وبات مؤكداً أن كليهما سيواجه الموت! لم تملك الآنسة كازوي ما يكفي من الوقت للتفكير فخبّأت حبيبها في خزانة قديمة، لكن دون جدوى. فقد استُدعِيَت الآنسة كازوي للمثول على الفور أمام سيدها ومعها حبيبها من الخزانة.

ملأ الغضب السيّد الإقطاعي وأمر بقتل الآنسة كازوي، فهبّ أوكاوا يدافع عنها ويقول إنها غير مسؤولة عن هذا اللقاء السري، وأن اللوم يقع عليه هو وحده، ورجا سيّدها أن يقتله بدلاً منها. ولم يكتفِ بذلك فأخبره قصّة كازوي وأن هدفها كان الثأر لموت والدها.

تأثّر الإقطاعي لسماع قصّة كازوي، وأُعجِبَ بشهامتها كما بشهامة أوكاوا فوظّفه في خدمته ووعده بالمساعدة للانتقام لموت والد كازوي.

ملأت دموع الامتنان عينَيْ أوكاوا ووعد بأن يضحّي بحياته من أجل هوزوكاوا عند أول فرصة.

Twitter: @ketab_n

بعد مرور سنة تقريباً، اندلع فجأةً في القلعة حريقٌ كبيرٌ، زادت الرياح من امتداده وبالكاد هرب سكانه من دون أن يتمكّنوا حتى من أخذ مقتنياتهم الثمينة.

كانت النيران مشتعلة وفجأةً تذكّر السيد أنه نسي صكوك الملكية وأن كارثةً بهذا الحجم قد تشكّل خطراً على عائلته. فما كان منه إلا أن قفز عن صهوة جواده ليعود إلى القلعة ويحاول استعادتها لكن خدمه أمسكوا به خوفاً عليه من الموت.

علم أوكاوا بذلك ورأى أن الفرصة سانحة أمامه الآن لإنقاذ سيده الجديد ومبادلته إحسانه تجاهه وتجاه كازوي. فهرع وسط الحريق وفتح الخزنة الحديدية وأخذ منها الوثائق القيّمة. ثم وجد أن الهروب محال، فالنار تحاصره من كل حدب وصوب وتهدّد بموته وحرق الأوراق. فطرأت على باله فكرةٌ، فاحتراق جسده محتّم لكن جسده المحترق قد ينقذ الوثائق. فاستل السيف من غمده ونزع أحشاءه وأقحم الوثائق في بطنه. ثم ألقى بنفسه في النار المحرقة ومات. استمرّت ألسنة النار تلتهم جسد المسكين أوكاوا المتفحّم.

وعندما انطفأ الحريق، وُجِدَت في جثته المحروقة الوثائق التي يتوقف عليها مصير عائلة هوزوكاوا وقد لطّختها الدماء. ومنذ ذلك الحين، أصبحت هذه السندات تعرف باسم هوزوكاوا نو شي داروما– أي سندات عائلة هوزوكاوا الملطّخة بالدماء.

Twitter: @ketab_n

حكاية كاتو ساي[1] يمون

في عهد الحاكم أشيكاغا، عمل تحت إمرته رجلٌ نبيل يُدعى كاتو ساي يمون وكان الحاكم يكنّ له محبّةً خاصّة. كانت الأمور تجري على خير ما يرام مع ساي يمون. فهو يعيش بمكان أشبه بقصر ولديه ثروة طائلة. وقد تزوّج من امرأة فاتنة، أنجبت له صبيًا، وبحسب العادات القديمة كان لديه الكثير من النساء الأخريات اللواتي يلعبن أدوار الزوجة في قصره. لقد عمّ السلام في المنطقة و لم يعرف ساي يمون أيّ اضطراب في داره التي ما

(1) أخبرني هذه القصة السيّد ماتسوزاكي. ولا أقول إنني شديد الإعجاب بهذه القصة. ففيها يعتبر ساي يمون بطلاً لكنه يبدو بالنسبة لمعظم الناس رجلاً جبانًا و ضعيفًا. وقد قلت ذلك للسيد ماتسوزاكي: «لا أرى أن الحكاية قد انتهت. لقد اعتبرتَ أن ساي يمون شخصيّة مثاليّة، بل أعتبره أضعف شخصيّة في الحكاية. بالتأكيد يجب على شخصيّتي الزوجة والابن أن تجسدّا الطيبة واللطافة، ولكنك مجّدت ساي يمون حين ترك أسرته ورفض التعرّف إليها في حين لم ترتكب زوجته وابنه أي خطأ. أجاب السيد ماتسوزاكي: «لا أوافقك الرأي، فهذه الحكاية أشبه بقصّة بوذا الذي ترك زوجته هو أيضاً وكرّس حياته للأعمال الدينيّة تماماً كما فعل ساي يمون». في الحقيقة أرى الأمور بطريقة مختلفة، فبوذا هو بوذا، ذلك المحسنّ لآسيا كلها. أمّا ساي يمون فكان إنساناً بائساً مسكيناً وضعيفاً بحث عن السلام الشخصي فحسب. ومع تطوّر أحداث القصّة أتحدى أيّ شخص أن يعتبره بطلاً أو شبيهاً ببوذا بأيّ شكل من الأشكال—إلا إذا جاء هذا الاعتبار من وجهة نظر يابانية. ومع ذلك، وبحسب السيد ماتسوزاكي، تُعتبر الحكاية شهيرة جداً، ويُشار إليها في الكثير من الكتب اليابانية (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

سادها سوى الفرح والطمأنينة. وعلى ذلك، استمتع بالحياة أيما استمتاع، وقال في نفسه ليت هذه الحياة تستمر! إلا أن القدر قضى بخلاف ذلك.

فذات مساء، كان ساي يمون يتنزّه في حديقته الجميلة، يتأمّل حشرات سراج الليل المضيئة ويستمع إلى دندنة الحشرات ونقيق الضفادع بسرور عميق، فتصادف أن مرّ بغرفة زوجته ملقياً نظرةً عليها.

كانت زوجته العزيزة تلعب الغو (تلك اللعبة اليابانية الشبيهة بالشطرنج) مع خادمتها المفضّلة. وأكثر ما أثار دهشته أن سعادةً كبيرة كانت تغمرهما وأنهما كانتا فرحتين برفقة بعضهما بعض. كان ساي يمون ما زال ينظر إليهما عنما رأى شعرهما المتطاير من الخلف، يعكس أشكال أفاع تتقاتل بيأس، فشعر بخوف رهيب.

اقترب ساي يمون المذهول خلسة ليرى بشكل أوضح؛ إلا أن ما رآه لم يتغيّر. كانت الزوجة والمرأة الأخرى تحرّكان بيادقهما، والابتسامة العريضة ترتسم على وجهيهما، ابتسامة لطف ومجاملة، وعلى الرغم من ذلك، بقيت تلك الأشكال الغامضة في شعرهما تصوّر حرب أفاع. حتى ذلك الوقت، كان ساي

Twitter: @ketab_n

يمون يعتقد أنهما بمثابة شقيقتين وهذا ما كان يبدو في الظاهر، أما بعد أن رأى تلك الأفاعي الخفيّة، اتّضح له أنهما تكرهان بعضهما كرهًا شديدًا لا يفهمه إنسان.

لم يفارق القلق ساي يمون لحظة، فقد كان يعيش حياةً سعيدةً حتى ذلك اليوم. وكان يحسب أن السلام يعمّ داره؛ أما الآن فقد اتّضح له أن الضغينة والخبث هما السائدان في الدار. وشعر أنه أشبه بقارب لا مهرب له من الطوفان.

لم يهدأ له بال في تلك الليلة ولم يغمض له جفنٌ. ففكّر أن الهروب قد يكون الطريق الأكثر أمان في نهاية المطاف. فكل ما كان يتوق إليه هو السلام والطمأنينة. وما من سبيل إلى ذلك سوى بتكريس بقية حياته للعبادة.

في صباح اليوم التالي، كان ساي يمون قد اختفى، وحلّ الذعر في نفوس أهل الدار كلهم. بحث عنه الرجال هنا وهناك وفي كل مكان، من دون أن يجدوه. وبعد مرور خمسة أو ستة أيام على اختفائه، قررت الزوجة تخفيض عدد المقيمين في المنزل وبقيت فيه هي وطفلها إيشي دومارو. وحتى الحاكم أشيكاغا قلق حيال اختفاء ساي يمون. مرّت السنة بعد السنة ولم تصل عنه أي أخبار، فعقدت زوجته العزم على اصطحاب إيشي دومارو البالغ من العمر خمسة أعوام والبحث عن زوجها.

Twitter: @ketab_n

مرّت خمس سنوات كئيبة لم تكفّ فيها الزوجة وابنها عن البحث في كل مكان؛ لكن من دون جدوى. وفي أحد الأيام، كانت الزوجة والابن ينزلان في قرية في جزيرة كيشو، فالتقيا عجوزاً أخبرهما بأنه رأى كاتو ساي يمون قبل سنة في معبد كويا سان. قال لهما: «بالتأكيد عرفته فقد كنت أعمل حمالاً عند الحاكم وقد رأيته مرات عدّة. لا أعرف إن كان ما زال في المعبد الآن؛ لكنه كان كاهناً فيه منذ سنة».

بالكاد عرفت عينا إيشي دومارو ووالدته النوم في تلك الليلة. فقد كانت الحماسة تملأ قلبهما. أصبح إيشي دومارو في الحادية عشرة من العمر الآن وكان يشعر بقلق كبير وبضرورة وجود والده إلى جانبه في المنزل. فرحت الأم وابنها بعد أعوام من البحث وكانا متلهّفين لحلول الصباح.

لسوء الحظ، لم تكن القوانين القديمة تسمح بدخول النساء إلى معبد كويا سان وتسلّق جباله، ولا حتى للصلاة أمام تمثال بوذا على ذلك الجبل. فما كان من والدة إيشي دومارو إلا البقاء في القرية في حين يذهب الصبي للبحث عن والده.

عند الفجر، استعدّ إيشي دومارو للرحلة يحدوه أملٌ كبير، وقد طمأن والدته قائلاً لها: «سوف أعود إليك برفقة والدي

Twitter: @ketab_n

هذا المساء وستغمرنا السعادة من جديد! سأودّعك الآن ولكن اطمئني ولا تقلقي عليّ!»، قال ايشي دومارو هذه الكلمات وانطلق في رحلته. أفكارٌ كثيرةٌ كانت تدور في باله في الطريق: «صحيحٌ أنني لا أعرف شكل والدي ولكنه يملك شامة سوداء تمامًا مثلي فوق عينه اليسرى، بالإضافة إلى ذلك، أشعر بأنني سألتقيه». بهذه الأفكار وغيرها مشى الصبي بصعوبة في الغابات المظلمة الشاهقة، وراح يتوقف هناك وهناك عند مزارات على جوانب الطرقات للصلاة من أجل النجاح في مهمّته.

راح إيشي دومارو يصعد ويصعد، وقد كان معبد كويا سان على ارتفاع نحو ألف ومئة قدم تقريباً، حتى وصل إلى المدخل الخارجي للمعبد واسمه الحقيقي كونغوبودجي، وكويا سان تعني جبل كويا.

وصل إيشي دومارو إلى غرفة أول كاهن فرأى عجوزاً وسمعه يتمتم الصلوات.

رفع قبّعته، وانحنى احتراماً وقال للعجوز: «من فضلك يا سيّدي، هل من كاهن اسمه كاتو ساي يمون في هذا المعبد؟ سأكون ممتناً لك إذا ما أرشدتني إليه. إنه كاهن منذ خمس سنوات فقط، وقد أمضيت مع والدتي طيلة هذه الفترة نبحث عنه. إنه والدي ونحن نحبّه كثيرًا ونتمنّى أن يعود إلينا!».

Twitter: @ketab_n

أجاب ساي يمون (وقد كان هو بالفعل): «آسف يا بنيّ لا أعرف رجلاً بهذا الاسم في هذا المعبد». قال ساي يمون هذه الكلمات والمشاعر تفيض في قلبه، فهو يدرك تمامًا أن ذلك الصبي هو ابنه وقد تملّكه أسىً ما بعد أسى لأنه أنكره ولم يعرّف عن نفسه ويضمّه إلى صدره؛ لكنه قرر تكريس حياته كلها لأجل بوذا ونبذ كلّ الأشياء الأخرى. لم يحتج إيشي دومارو ووالدته إلى الطعام أو المال، فكلّ شيء كان مؤمّناً؛ وقد طمأن ذلك ساي يمون الذي قرّر البقاء على حاله، ناسكًا فقيرًا، مختبئاً في دير كويا سان. ثم أكمل ساي يمون كلامه وقال: «لا أذكر حتى أنني سمعت بوجود كاتو ساي يمون في هذا المعبد، ولكنني سمعت بالتأكيد بكاتو ساي يمون وكان صديقًا عزيزًا للحاكم أشيكاغا».

حزن إيشي دومارو لسماع ذلك، لكنه شعر أن ذلك العجوز هو والده، كما أن فوق عينه اليسرى كانت شامة سوداء تمامًا كتلك التي فوق عينه هو.

فقال له مجدداً: «يا سيّدي، لطالما أشارت أمي إلى الشامة السوداء فوق عيني اليسرى وكانت وقالت لي: يا بنيّ لوالدك شامة مشابهة فوق عينه اليسرى، فإن صادف أن ذهبت للبحث

Twitter: @ketab_n

عنه، ستكون تلك الشامة إشارة أكيدة لك. وفوق عينك اليسرى يا سيدي الشامة نفسها التي فوق عيني اليسرى. أعرف أنك والدي وأشعر بذلك!».

اغرورقت عينا إيشي دومارو بالدموع فمدّ ذراعيه وصرخ باكيًا: «أبي، أبي، دعني أعانقك!».

ارتجف ساي يمون وتحرّكت مشاعره؛ لكنه رفع رأسه بتعجرف وتمالك نفسه وقال: «يا بنيّ، لدى الكثير من الرجال شامات فوق حاجبهم الأيسر أو الأيمن. لكنني لست والدك، وعليك أن تبحث عنه في مكان آخر».

في ذلك الوقت، حضر رئيس الكهنة ونادى ساي يمون للقيام بالخدمات المسائيّة في المعبد الرئيسي. على هذا النحو، فضّل ساي يمون تكريس حياته لبوذا (كما روى لي السيد ماتسوزاكي) والتمثّل به على العودة إلى عادات الحياة الطبيعيّة وإلى عائلته وحتى على الاعتراف بابنه الوحيد!

أنا أشفق على إيشي دومارو ووالدته المسكينة اللذين لم نعرف عنهما أي خبر منذ ذلك الحين. وأكمل السيد ماتسوزاكي:

Twitter: @ketab_n

«لم يُعرف ماذا حلّ بايشي دومارو ووالدته؛ لكن يُقال حتى هذا اليوم إن كاتو ساي يمون أمضى بقيّة حياته في سلام و نقاء، وكرّس روحه وجسده لبوذا، وقد فعل ذلك من دون أن يرثي لحاله أيّ إنسان بل عن قناعة تامّة».

استُخرجت الأبيات التالية من الكتاب الثالث لسير إدوين آرنولد «نور آسيا»، وقد كُتبت لبوذا حين كان أميرًا، وجاءت على لسان الرياح:

نحن هزيز[1] الرياح الهائمة

فما لك إلا أن تهيم أنت أيضًا أيها الأمير

أترك الحب للمحبّين، إكرامًا للعذاب

تحرر من الكرب والأسى، واسلك درب الحريّة

لكم نتنهّد ونحن نمرّ فوق الخيوط الفضيّة

حين نراك أنت يا من لا تعرف شيئًا بعد عن الأمور الدنيويّة

فنقول لك ساخرين

انتبه لتلك الظلال التي بك تتلاعب.

(1) صوت الريح (م).

Twitter: @ketab_n

الحريق الهائل الذي تسبب به ثوب سيدة

قبل نحو مئة وعشرين سنة، في السنة الأخيرة من حقبة تيماي[1]، ضرب حريقٌ هائلٌ المنطقة الغربية من ييدو، وعلى الأرجح أنه كان الحريق الأسوأ في تاريخ العالم نظرًا لأنه تسبّب في مقتل ما لا يقلّ عن مئة وثمانية وثمانين ألف شخص.

في ذلك الحين، عاش في ييدو، المعروفة اليوم بطوكيو، مراب غنيٌ اسمه إنشو هيكويمون، وقد كان فخورًا أيما فخر بابنته الجميلة البالغة من العمر ست عشرة سنة. كان اسمها الآنسة سايم وهو اسم مشتق من كلمة ساميرو وهي لفظة يابانية تعني الاختفاء، والآنسة سايم اختفت في الواقع.

كان إنشو هيكويمون يحبّ ابنته كثيراً، فهو أرمل وليس له ولد غيرها فجعلها محط حبه واهتمامه. وكان ثرياً ثراءً أنساه الأفكار والخصال السيئة التي أوصلته إلى منصبه الحالي. فبعد أن

(1) بين عامي 1783 و1787، بدأت ثوران بركان جبل أساما، الذي تبعته مجاعة كبرى وسلسلة من الحرائق الضخمة (م).

Twitter: @ketab_n

كان مسترهناً قاسي القلب عديم الشفقة، أصبح كريماً عطوفاً، لا سيما في الأمور التي تخصّ ابنته.

وذات يوم قصدت الفاتنة سايم ضريح جدّيها للصلاة، ترافقها الخادمة. وبعد أن تلت صلواتها، دخلت معبد هوميوجي في هونغو مارو ياما، تتلو الصلاة أمام تمثال بوذا، فلمحت كاهناً شاباً وقعت في غرامه من النظرة الأولى. لم تكن حتى ذلك الحين قد ذاقت طعم الحبّ وبالتالي لم تدرك ممّا أصابها إلا أنها لم تستطع إبعاد ناظريها عن وجهه الرقيق الجليل. أشعلت الآنسة سايم عود بخور وأعطته للكاهن ليضعه أمام تمثال بوذا، وما كادت يداهما تتلامسان حتى شعرت سايم بقشعريرة تسري في جسمها لم تعرف لها مثيل. وقعت المسكينة سايم في غرام الكاهن الشاب، ومنذ اللحظة التي غادرت فيها المعبد لم يفارق وجهه خيالها وأينما نظرت ما رأت سواه. في طريق العودة، لم تنبس ببنت شفة لخادمتها، وعندما وصلت إلى المنزل توجّهت رأساً إلى غرفتها.

في صباح اليوم التالي، قالت الآنسة سايم لخادمتها إنها متوعّكة وقالت لها: «اذهبي وأخبري والدي بأنني سألازم الفراش اليوم فلا أشعر أنني بحال جيدة».

Twitter: @ketab_n

وبقيت على حالها في اليوم التالي، والذي بعده، وبعده.

انفطر قلب هيكويمون، ولم يترك وسيلةً إلا وجرّبها لإعادة الحيوية إلى ابنته. فظنّ أن اصطحابها إلى شاطئ البحر قد يساعدها، فعرض عليها الذهاب إلى معبد آيسي أو إلى كومبيرا. لكنها لم تقبل. ولم يبق طبيبٌ لم يعاين الآنسة سايم وفيها لم يجد خطباً، وكل ما تمكّن الأطباء من قوله: «ثمة ما يشغل بالها وعندما تتخلّص منه فسيكون الشفاء نصيبها».

في النهاية، اعترفت الآنسة سايم لوالدها بما يختلج في قلبها من مشاعر تجاه الكاهن الشاب في معبد هوميوجي. قالت له: «لا يا أبي، لا تغضب عليّ، فأنا لا أعرفه وما رأيته إلا مرةً واحدة، وقد كانت كافية لأقع في غرامه، ومنذ ذلك الحين لم يفارق وجهه الرقيق خيالي، وهذا الحبّ هو ما يزيد قلبي هماً وجسمي سقماً. إن كنت تحبّني يا أبي وتريد أن تنقذ حياتي، فأرجوك أن تذهب وتعثر عليه فتقول له إنني به مغرمةٌ ومن دونه سأموت حتماً».

مسكين هيكويمون ابنته المغرمة تنازع والموت تصارع من شدة حبها لذلك الكاهن! فما عساه أن يفعل؟ في البداية كان متساهلاً مع ابنته ثم بعد بضعة أيام، أقنعها بمرافقته إلى المعبد. شاء سوء طالعهما ألا يريا ذلك الكاهن في زيارتهما الأولى،

Twitter: @ketab_n

ولا الثانية. وبعد ذلك ساءت حال الآنسة سايم أكثر من ذي قبل، ورفضت مغادرة غرفتها. وملأ أنينها أرجاء المنزل ليلاً نهاراً، فاطراً قلب والدها لاسيما وأنه علم سراً أن الكاهن الذي أُغرِمَت به ابنته هو أحد أتباع بوذا، وما من مجال ليتخلّى عن التزاماته الدينية.

وبالرغم من ذلك، عزم هيكويمون على بذل مجهود من أجل ابنته، فقصد المعبد وحيداً، وقابل الكاهن مفصحاً له عن حبّ ابنته، سائلاً إياه أن يتزوّجها.

رفض الكاهن الفكرة رفضاً قاطعاً وقال له: «ألا ترى أنني كرّست جلّ حبّي لبوذا؟ إنه لمن المهين أن تقترح عليّ فكرةً مماثلة!».

عاد هيكويمون إلى منزله وفي قلبه غصّة من رفض الكاهن الزواج من ابنته لكنه شعر أن الصراحة واجبة عليه تجاه ابنته.

انفجرت الآنسة سايم في نوبة من البكاء، وازدادت حالتها سوءاً يوماً بعد يوم. ففكّر والدها أن يشغل بالها بأمور أخرى، فأحضر لها ثوباً أخاذاً فاق سعره الأربعة آلاف ين، ظناً منه أنها سترتديه وتخرج لتتباهى به.

Twitter: @ketab_n

إلا أن ذلك لم يُجدِ نفعاً. لم تكن الآنسة سايم تشبه غيرها من النساء، فما كانت الثياب الأنيقة تشغل بالها ولا جذب الانتباه. ارتدت الثوب في غرفتها لتفرح قلب والدها، ثم خلعته وعادت إلى فراشها وماتت فيه بعد يومين منفطرة الفؤاد.

آلم هيكويمون فقدان ابنته أيّما ألم، وفي دفنها غطّت أكاليل الأزهار أكثر من نصف ميل.

أمّا الثوب الأخّاذ فقد قُدِّم للمعبد. فالأثواب المماثلة كانت تُحفَظ بعناية لتذكّر الكهنة بالصلاة لأرواح أصحاب هذه الملابس، وكان يتمّ تنظيفها كل شهرين أو ثلاثة.

لم يكن رئيس الكهنة في ذلك المعبد رجلاً طيباً، فعرف قيمة ثوب الآنسة سايم وسرقه ليبيعه سراً لبائع يتاجر في الثياب المستعملة.

بعد مرور سنة تقريباً، قدّم والدّ الثوب نفسه إلى المعبد بعد أن ماتت ابنته حزناً من الحبّ، وقد اشترى لها والدها الثوب من متجر لبيع الألبسة المستعملة (ماتت هذه الفتاة ودُفِنَت في اليوم والشهر نفسه الذي ماتت فيه الآنسة سايم).

Twitter: @ketab_n

لم يحزن رئيس الكهنة لرؤية الثوب الغالي يعود إلى المعبد، لا بل سُرّ لجشعه وباعه من جديد، جاعلاً من هذا الثوب منجم ذهب له وللمعبد. لكن تخيّلوا شعور الكهنة في السنة التالية، في الشهر نفسه وفي تمام اليوم الذي ماتت فيه الآنسة سايم عندما دُفِنَت في مقبرة المعبد فتاة أخرى لها من العمر ما يساوي سنوات عمر سايم، وقد ماتت هي أيضًا حزناً بسبب الحبّ وقد ارتدت ثوب الآنسة سايم الأخاذ الذي قدّمه والدها إلى المعبد وهذه المرّة الثالثة التي يُعاد فيها إليه.

كانت دهشة رئيس الكهنة أكبر من أن توصف، وقد تملّكته وباقي الكهنة الحيرة والارتباك أيما تملّك.

تملّكت الرّيبة الكهنة الفاضلون، إذ لم يكن لهم أي دخل في بيع الثوب، أما رئيس الكهنة الكاذب فقد ارتعب وراح يفكّر في حلّ لمشكلته. فما كان منه إلا أن جمع جميع الكهنة في المعبد، واعترف لهم بحقيقة ما حصل طالباً منهم النصح.

وصل الكهنة إلى نتيجة واحدة وهي أن روح الآنسة سايم سكنت الثوب، والحلّ الوحيد هو حرقه ودفنه بعد إقامة الطقوس وتلاوة الصلوات، علّ الروح ترتاح بذلك. فحُدِّدَ موعد، وعندما حان قدم الكثير من الناس إلى المعبد وأقيمت الصلوات ثم وُضِعَ الثوب على صخرة بشكل زهرة اللوتس.

Twitter: @ketab_n

كان الطقس صافياً في ذلك اليوم، لكن ما كاد الثوب يشتعل حتى عصفت رياح وزرعت ألسنة النار الملتهبة في كلّ مكان، ثم اشتدّت أكثر فاقتلعت أحد كمّي الثوب وطارت به إلى سقف المعبد حيث علق بين رافدتيْن واشتعل تماماً، محرقاً معه المعبد برمّته في أقل من دقيقتين أو ثلاث. بقيت النار مشتعلة سبعة أيام وسبع ليال، قضت فيها على الأراضي في جنوب وغرب ييدو، وأودت بحياة مئة وثمانية وثمانين ألف شخص.

جُمِعت البقايا المحروقة ودُفِنَت، وأُقيم معبد إيكو إن (الموجود اليوم) من أجل التضرّع والصلاة لبوذا طلباً الراحة لأرواح الموتى.

وقد قال لي السيد ماتسوزاكي: «معبد إيكو إن هو معبدٌ مشهور اليوم، تُقام فيه الألعاب والمصارعة مرّتين في السنة، إلا أن زوّار المعبد يرون حلبة المصارعة لكنهم لا يسألون عن سبب بناء المعبد في ذلك المكان».

Twitter: @ketab_n

حكاية أوتو فوجيتسونا[1]

كان هوجو توكيوري، الذي أخبرني موراي أنه وُلِدَ في العام 1246 م، وتوفي في السابعة عشرة من عمره أي في العام 1263، نائب الملك بالرغم من صغر سنّه.

ذات يوم، قصد هوجو توكيوري مزار تسوروغاوكا في كاماكورا للصلاة. وفي الليلة نفسها، رأى في حلمه أحد الآلهة يظهر له ويقول: «أنت أصغر من أن تكون ملكاً يا هوجو توكيوري، كما ثمة من يريد أن يخدعك وقد ندر الصدق في هذه الأيام. لكن رجلاً واحداً ما زال الصدق صديقه، وإن أردت أن تحكم الشعب بنجاح فمن الأفضل أن تستعين به وتوظّفه. واسمه أوتو فوجيتسونا».

أخبر هوجو توكيوري حلمه لأوتو فوجيتسونا وقال له: «لا، كان ذلك أكثر من حلم، كانت رؤيا تحثّني على تعيينك مساعداً لي».

(1) أخبرني هذه القصة صديقي السيد ماتسوزاكي (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

فأجاب أوتو فوجيتسونا: «إن كان تعيينك للمسؤولين مرتكزاً على أحلامك ورؤياك يا سيدي فهذا أمر خطير، لأنك قد تحلم يوماً أنه عليك قطع رأسي!».

ضحك هوجو توكيوري ممّا سمع وقال إنه يأمل ألا يحصل ذلك. وكان أوتو فوجيتسونا موظّفاً ممتازاً، جديراً بالثقة، محبوباً، عادلاً وصادقاً، فلم يستطع أحدٌ أن يتكلّم عنه بالسوء وكان ذلك يبث السرور في قلب هوجو توكيوري.

وذات يوم، كان فوجيتسونا ينقل مالاً يعود إلى الدولة في حقيبة فوق جسر. فسقط أرضاً وانفتحت الحقيبة ووقعت الأموال، إلا أنه تمكّن من جمعها كلّها ما عدا نصف سنت تدحرج فوق الجسر وسقط في النهر.

كان بإمكان فوجيتسونا استبدال نصف السنت بآخر لكن ذلك لا يتوافق مع مبادئه وأخلاقه. فَقَدَ نصف سنت من أموال الدولة، وهو يعرف أنه سقط في النهر. فرفض أن يكمل طريقه قبل أن يستردّ نصف السنت. فما كان منه إلاّ أن راح يطرق أبواب المنازل القريبة من الجسر، ويخبر أهلها أنه أوقع مال الدولة في النهر، ويطلب منهم مساعدته في البحث عنه. فهبّ أهل القرية المعروفون بنخوتهم كيابانيين، لمساعدة فوجيتسونا،

Twitter: @ketab_n

وتبعوه إلى النهر رجالاً ونساءً وأولاداً، وبحثوا لساعات من دون طائل، وقبل مغيب الشمس، وجد مزارعٌ عجوز نصف السنت وأعطاه لفوجيتسونا.

فرح فوجيتسونا وطمأن الناس إلى أنه وجد المال بفضل المزارع.

فصرخوا قائلين: «هذا نصف سنت فقط، أين المال الباقي؟».

فأجاب فوجيتسونا: «لم أفقد سوى نصف السنت، لكنه ليس لي بل هو من مال الدولة وقد ائتُمنتُ عليه، وقد كان من واجبي استرداده. هذا مبلغ بقيمة ثلاثين ين لمساعدتي في العثور على المال. هذا مالي، وتذكّروا ما سأقوله لكم، مهما كان الغرض الذي تأتمنكم عليه الدولة، ومهما بلغت ضآلته، فاحرصوا على ألا تفقدوه بل حافظوا عليه بحياتكم وثروتكم».

أُعجِبَ أبناء القرية بصدق فوجيتسونا وطريقة تفكيره.

وعندما سمع هوجو توكيوري هذه القصّة الصغيرة، منح أوتو فوجيتسونا ترقيةً ورفعه إلى منصب أعلى، لكن بالرغم من ارتقاء الوزير وثروته، بقي يعمل بكدّ وجهد ويأكل طعاماً بسيطاً ويرتدي ملابس عادية، وكان يسكن كوخاً لا قصراً، ويكرّس حياته لبلده.

Twitter: @ketab_n

عنكبوتٌ وحمامتان وإنقاذ الحياة

قيل إن يوريتومو مورّاي وُلد في العام 1147 وتوفيّ في العام 1199، «وقد كان مؤسّس الحكم الوراثي، وأوّل عمدة يابانيّ للقصر، إذا جاز التعبير. وينحدر يوريتومو من أسرة مينامونو الكبيرة، وبقدر ما كان ذكياً وطموحاً كان عديم الإنسانية فاقد الضمير. تيتّم يوريتومو في سنّ مبكّرة، وبالكاد نجا في صغره من الموت على يد كيوموري، وهو الوزير الأقوى الذي ينتمي إلى أسرة تايرا المنافسة».

من خلال هذا الملخّص الممتاز والمركّز حول يوريتومو البالغ اثنين وخمسين عامًا، يتّضح فوراً أنه خاض عددًا لا يُحصى من المغامرات. فقد تميّز عهده بالمعارك، والغريب هو أنه، على الرغم من كلّ ذلك، مات في سريره مرتاح البال.

في النصف الأول من عهد يوريتومو، لحقت به هزيمة ما بعدها هزيمة في معركة ضدّ أوبا كاجي شيكا في جبال ايشيباشي في مقاطعة إيزو. فما كان من يوريتومو وستّة من رجاله المخلصين

Twitter: @ketab_n

إلا أن لاذوا بالفرار لينجوا بأنفسهم، فتوجّهوا كالأرانب المطارَدة نحو غابة كثيفة هاربين من رجال أوبا كاجي شيكا. وبعد أن بلغوا الجزء الأكثف والأخطر من الغابة، وصلوا إلى شجرة سرو ضخمة مجوّفة تسعهم جميعاً. كان يوريتومو وأتباعه متلّهفين لإيجاد ملجأ داخل الشجرة لأنهم كانوا متعبين جدًّا ولم يعد بإمكانهم النجاة من قوّات أوبا كاجي شيكا القوّية الجبّارة التي كانت تحرز النجاحات من خلال مطاردة كلّ من يتجنّبها و القضاء عليه. حين وصل أوبا كاجي شيكا إلى طرف الغابة، أرسل قريبه أوبا كاجي توكي للبحث عن يوريتومو، وقال له: «اذهب يا قريبي وجئني بالعدو يوريتومو. هذه فرصة حياتك، وهو موجود في هذه الغابة بالتأكيد. سوف أسعى بنفسي، عند وصول رجالنا، إلى تقسيمهم بشكل يطوّق الغابة كلّها. لم يكن أوبا كاجي توكي مسرورًا بتلك المهمّة، إذ أنه عرف يوريتومو في يوم من الأيام وكان صديقًا له. مع ذلك، انحنى احترامًا لقريبه ورحل. بعد نصف ساعة من التفتيش، وصل أوبا كاجي توكي إلى تلك الشجرة الضخمة، ووجد صديقه القديم يوريتومو ومرافقيه الستّة المخلصين. ضعف عند رؤية ذلك المشهد وبدلاً من أن يكمل واجبه، عاد إلى أوبا كاجي شيكا وقال له إنه لم يتوصّل إلى إيجاد العدو وبرأيه أن يوريتومو قد هرب من الغابة.

Twitter: @ketab_n

غضب أوبا كاجي شيكا غضبًا شديدًا وقال علنًا إنه لم يصدّق قريبه—لأن الهرب من الغابة مستحيلٌ في خلال هذا الوقت القصير.

قال لهم: «هيا، فليتبعني خمسة عشر رجلاً أو عشرين رجلاً منكم؛ وأنت يا قريبي أرشدنا إلى الطريق وأرِنا أين ذهبت، كنْ صادقًا وإلاّ كان عقابك وخيماً!».

أذعن كاجي توكي للأمر وأرشدهم إلى الطريق متجنّبًا المرور من أمام الشجرة الكبيرة، لأنه قرّرإنقاذ حياة يوري تومو إذا ما استطاع ذلك. ولكن لسوء الحظّ، اختار طريقًا وعرةً، فتوقّف كاجي شيكا إذ كان يحمل درعاً ثقيلة جدًّا وصرخ: «هذا يكفي! لنواصل الطريق الذي بدأنا به لأنه من المحتمل أن يكون هو الذي اتخذه الهاربون. في جميع الأحوال، أنت لا تقودنا إلى أيّ طريق وسوف يتعذّر علينا المرور من هنا مع دروعنا الثقيلة».

وبطبيعة الحال، وصل كاجي شيكا ورجاله إلى الشجرة الضخمة في وقت قصير. كان كاجي توكي خائفًا من أن يدخل قريبه الجوف ويجد يوريتومو فبدأ يفكّر بطريقة ينقذ فيها صديقه.

Twitter: @ketab_n

كان كاجي شيكا على وشك الدخول إلى الشجرة المجوّفة حين خطرت في بال كاجي توكي فكرةٌ ذكيّةٌ.

قال له: «توقّف! نحن نهدر الوقت بدخولنا تلك الشجرة. ألا ترى بيت العنكبوت الذي يحيط المدخل؟ من المستحيل أن يدخل انسانٌ هذه الشجرة من دون أن يخرقه».

كاد كاجي شيكا يصدّق كلام قريبه؛ لكنه، ولشكّه بقريبه، قرّب رأسه من الشجرة ليرى ما في الداخل. كاد وجهه يلامس درع يوريتومو الثقيلة (التي كانت سوف تكشف عن مخبئه بطبيعة الحال)، عندما طارت حمامتان جميلتان بيضاوان وخرجتا من أعلى الحفرة.

فقال كاجي شيكا ضاحكاً عند رؤية الحمامتين: «أنت محقٌّ يا قريبي، أنا أضيّع وقتي هنا، فلا يمكن لأحد أن يختبئ في هذه الشجرة التي يسكنها الحمام بالإضافة إلى ذلك، فمدخلها مسدود بشباك العنكبوت».

على هذا النحو، أنقذ العنكبوت والحمامتان حياة يوريتومو. وبعد أعوام أصبح حاكماً على كاماكورا حيث استقرّ، وتمّ تشييد مزارين في معبد تسورو غا أوكا الذي كان معبداً لإله الحرب

Twitter: @ketab_n

هاشيمان، وكان المزار الأول مُهدىً للإمبراطور نينتوكو، ابن أوجن، إله الحرب، والمزار الثاني مهدىً ليوريتومو وقد أُسمِيَ شيراهاتا جنجا. أقيم المزاران امتناناً من يوريتومو لإله الحرب، فالحمام في اليابان كان رسولاً للحرب وليس للسلام.

ملاحظة:--أظنّ أن المزار الذي أطلق عليه مورّاي اسم شيراهاتا، أي العلم الأبيض، هو نفسه شيروهاتو أي الحمام الأبيض. وبحسب موراي:

ينتصب معبد هاشيمان، إله الحرب، الذي يعود للقرن الثاني عشر على هضبة مطلّة اسمها تسورو–غا–أوكا، وتمتدّ بالقرب منه جادّةٌ فخمةٌ من أشجار الصنوبر التي تمتدّ من الشاطئ. وعلى الرغم من أن الجادة والمعبد قد عانيا من ويلات الزمن، يجب أن نتذكّر مع ذلك الأمجاد القديمة في ذلك المكان. تؤدّي ثلاثة نتوءات مستديرة من الحجر نحو المعبد الذي يقوم على رأس مجموعة من درجات السلّم الحجريّة. لاحظ شجرة الإيكو تلك التي يبلغ محيطها عشرين قدماً والتي تعود إلى أكثر من ألف سنة، بالإضافة إلى الأشجار المزهرة التي تبعثرت أوراقها على الأرض.

Twitter: @ketab_n

قبل الصعود إلى السلّم، لابدّ من التوقّف عند المزارات الصغيرة. فالمزار الأقرب، المطليّ باللون الأحمر والمُسّمى بواكاميا مهدىً للإمبراطور نينتوكو إبن اله الحرب. أمّا المزار الأبعد والذي أعيد ترميمه في العام 1890، فيُسمّى شيراهاتا جنجا وهو مهدىً ليوريتومو. يبدو التصميم والتركيب غير مألوفين إلى حدّ ما، إذ أن الأسود والذهبي هما اللونان الوحيدان المستخدمان بالإضافة إلى الحديد الذي استُعمل للأعمدة الأربعة الأساسيّة. أما في داخل المزار، فثمة صورة خشبيّة ليوريتومو.

يؤدي طريقٌ جانبيٌّ إلى المعبد الرئيسي المسيّج بأعمدة حمراء. في العام 1828، أُعيد بناء هذا المعبد الذي التهمته النيران منذ سبع سنوات على طراز ريوبو شينتو بأعمدته الحمراء وبالدعّامات الأفقيّة والروافد، وهو مزيّنٌ بمنحوتات صغيرة وملوّنة، أبرزها منحوتات طيور وحيوانات. أمّا على الأعمدة، فتبرز تماثيل الكثير من المحفّات الدينيّة (ميكوشي) التي تُستخدم في المناسبات النصف سنويّة (الخامس عشر من أبريل والخامس عشر من ديسمبر)، بالإضافة إلى تمثال خشبيّ لسومي يوشي أعدّها أنكي، والبعض من رفات

Twitter: @ketab_n

يوريتومو. حُفِظَت معظم الرفات في المعبد ثم تمّ نقلها إلى مكان إقامة رئيس الكهنة (هاكوزاكي أوياتسو-كوان) ولا تُعرَض إلا في المناسبات والمهرجانات.

مباشرةً خلف معبد هاشيمان، ترتفع هضبةٌ صغيرةٌ اسمها شيراباتا-ياما، ويقال إن يوريتومو كثيرًا ما أُعجب بموقعها، وقد تمّ تسييج هذه الهضبة فأصبحت أشبه بحديقة.

Twitter: @ketab_n

إخلاص موراكامي يوشيتيرو

كان موراكامي يوشيتيرو أحد الخدّام المخلصين للأمير موريناغا، الابن الثالث للإمبراطور غودايغو الذي حكم من العام 1319 حتى العام 1339. وعندما أقول حكم أعني أن غودايغو كان الإمبراطور لكن الحاكم في ذلك الوقت كان هوجو تاكاتوكي القاسي والأناني.

كان أفراد الأسرة الإمبراطورية يأخذون الأمور ببساطة باستثناء الأمير الشاب موريناغا. فهم يفضّلون الراحة والطمأنينة على التمرّد والشغب على عكس الأمير الذي كان حادّ الطباع مغروراً، وكان يعتبر أن هوجو تاكاتوكي يغتصب عرش الإمبراطور، وهو ليس سوى مرؤوس لدى الإمبراطور ولا يحقّ له أن يكون حاكماً.

كان من الطبيعي أن تؤدّي أفكار الأمير موريناغا إلى المتاعب، فقد غادر العاصمة فجأةً يرافقه أتباعه الذين بلغ عددهم بضع مئات أي ما لا يكفي لمحاربة هوجو تاكاتوكي في ذلك الحين.

Twitter: @ketab_n

قرّر الأمير مورياغا أنه من الأفضل أن يعيش مستقلاً في ياماتو من أن يعيش تحت حكم هوجو تاكاتوكي مثل والده وإخوانه الأكبر سنّاً. فجمع الأمير الأوفياء من أتباعه، ومن بينهم بطل قصتنا موراكامي يوشيتيرو، وغادر العاصمة متنكّراً وتوجّه إلى يوشينا في ياماتو، حيث قرّر أن يبني قلعة في الجبال، يمضي فيها بقيّة أيامه مستقلاً عن الحاكم الذي يكنّ له كراهية لا توصف.

حمل الأمير مورياغا معه راية الإمبراطورية علّها تحمل له بعض التعاطف والمساعدة في مقاطعة ياماتو البرية. فالمسافة من كيوتو التي كانت العاصمة في ذلك الحين إلى حدود ياماتو هي نحو الثلاثين ميلاً، وكانت تلك المنطقة جبلية وبرية، والسبيل إليها ممرّات جبلية وعرة. وفي ظهر اليوم الخامس، وصل الأمير إلى قرية حدودية اسمها إيموغاز، لكن حارساً من تلك القرية كان يعيق الطريق، وكان اسمه شوجي وهو معروف بقسوته وفظاظته.

عندما وصل الأمير مورياغا وجماعته المؤلّفة من ثمانين شخص من أتباعه، متنكّرين بشكل رهبان مقاتلين (ياماغوشي)، أوقفهم حارس القرية ومنعهم من التقدّم إلى ياماتو إلا إذا تركوا أحدهم رهينة. حالت عجرفة الأمير دون تمكّنه من التكلّم مع

Twitter: @ketab_n

أهل القرية وشرح الموقف لهم، ولسوء الحظ لم يكن القائد الجدير بالثقة موراكامي يوشيتيرو موجوداً، فقد كان متأخراً بضع أميال يجمع بعض القش ليصنع منه حذاءً. وكان شوجي قائد قرية إيموغاز صارماً في طلب أن يُترَك أحد الأشخاص إلى حين عودتهم. بقيت الأمور على حالها عشرين دقيقة، ولم يرغب أي من الطرفين في القتال، فقال شوجي: «أنت تقول إنك أمير! لكنني قروي بسيط ولا أعرف. صحيح أنك تحمل الراية الإمبراطورية، لكن عندما ترتدي ثياب راهب مقاتل، لا تبدو أميراً. أنا لا أريد المتاعب، وأنت تريد أن تمرّ من دون متاعب، تقتضي أوامري عندما يتخطّى عدد المحاربين العشرة أن أحتجز واحداً منهم رهينة، وكل ما يمكنني أن أقترحه عليك الآن هو أن تكون الرهينة هذه الراية الإمبراطورية».

سُرَّ الأمير لتمكّنه من الحفاظ على أحد أتباعه الأوفياء، وسلّم الراية الإمبراطورية رهينةً لشوجي، وأكمل طريقه مع أتباعه إلى ياماتو. لم تمضِ نصف ساعة حتى وصل موراكامي يوشيتيرو إلى الحارس، بعد أن صنع لنفسه حذاءً من القش، ويا لمفاجأته وغضبه عندما رأى راية سيده في يد الحارس.

وما كان منه إلا أن سأله: «ما معنى هذا؟».

Twitter: @ketab_n

فشرح له شوجي ما جرى.

فقد موراكامي السيطرة على أعصابه لسماع هذه القصّة، ودبّ الغضب في قلبه، فراح يلعن شوجي ورجاله وينعتهم بالأوغاد الذين لا يحقّ لهم حتى أن ينظروا إلى الراية الإمبراطورية اليابانية فما بالك أن يلمسوها، وشنّ عليهم هجوماً فقتل ثلاثة أو أربعة منهم في حين هرب الآخرون. ثم أمسك بالراية وانطلق بها حتى وصل، قرابة المساء، إلى الأمير وأتباعه الذين سُرّوا بما فعل وباستعادة الراية.

بعد يومين، وصل الأمير وأتباعه إلى يوشينو، وبنوا على مقربة منها قلعة، عاشوا فيها بسلام بضعة أشهر. ولم يدم الأمر طويلاً حتى علم الحاكم بأخبار الأمير، فأرسل فرقة عسكرية للقبض عليه. وتعرّضت القلعة لهجوم عنيف دام يومين، وفي اليوم الثالث خُلِعَت بواباتها الخارجية وقُتِلَ ثلثا رجال الأمير. أمّا موراكامي فقد جُرِح ثلاث مرّات، وما كان ليعيش طويلاً. لكنه بقي وفيّاً حتى النهاية، أسرع إلى الأمير وقال له: «سيدي، أنا مجروحٌ وسأنزف حتى الموت. لن يحتاج أعداؤنا إلى أكثر من نصف ساعة حتى ينتصروا علينا، فلم يبقَ لدينا الكثير من الرجال. جلالتك لم تتعرّض

Twitter: @ketab_n

لأي جرح بعد، لذا يمكنك التنكّر والهرب. أعطني درعك بسرعة ودعني أتظاهر أنني جلالتك. وسأري أعداءنا كيف يموت الأمير».

خلع موراكامي ثيابه بسرعة وارتدى درع الأمير، وكان ينزف أيما نزيف من جروحه، ممّا زاد من ضعفه وجعله أقرب إلى الميت منه إلى الحيّ. استند موراكامي إلى الحائط ووقف يخطو خطواته الأخيرة حتى بلغ مكاناً يستطيع منه رؤية أعدائه وهم بدورهم يستطيعون رؤيته.

وقف وصاح: «أنا الأمير مورياغا. ربّما لم يكن القدر إلى جانبي، لكنني لن أقبل أن يهزمني. عاجلاً أم آجلاً ستخضعون لعقاب الموت. وإلى ذلك الحين، فلتحلّ لعنتي عليكم، وسأعلّمكم كيف يموت الأمير، علّكم تتمثّلون بي عندما تحين ساعتكم، هذا إن كنتم تجرؤون على ذلك».

استلّ موراكامي يوشيتيرو سيفه وغرزه في بطنه، ثم أمسك بأمعائه ورمى بها أعداءه، وبعد ذلك سقط جثةً هامدة.

قُطِعَ رأسه وأُخِذَ إلى الحاكم في كيوتو على أنه رأس الأمير مورياغا الذي فرّ ليخطط للمستقبل.

Twitter: @ketab_n

حكاية جزر أوكي

تبعد جزر أوكي خمسة وأربعين ميلاً عن مقاطعة هوكي، وقد كانت هذه الجزر لقرون ساحةً للنزاع والأسى والنفي، أما اليوم فهي مزدهرة يعمّ السلام أرجاءها. وقد شكّلت الحيوانات البحرية من سمك وأخطبوط وحبّار الجزء الأهم من صادراتها. كانت هذه الجزر غريبة بريّة، صخريّة يصعب الوصول إليها، وقلّة هم الأوروبيون الذين زاروا هذه الجزر. أنا نفسي أعرف شخصين، المرحوم لافكاديو هيرن والسيد أندرسون (الذي قصد تلك الجزر ليجمع الحيوانات لدوق بدفورد)، كما أنني أرسلت أوتو، الصيّاد الياباني، وقد عاد مسروراً.

في القرون الوسطى، أي منذ العام ألف كانت هذه الجزر محطّ نزاع بين الكثير من شيوخ القبائل كما كانت منفىً للكثير من الأشخاص.

في العام 1239، هزم هوجو يوشيتوشي الإمبراطور غو توبا ونفاه إلى جزيرة دوغن.

Twitter: @ketab_n

نفى قائد آخر إمبراطوراً آخر وهو غو دايغو إلى نيشي نو شيما. وعلى الأرجح أن هذا القائد نفسه، وقد قيل لي إن اسمه تاكاتوكي، هو من نفى بطل قصتنا أوريبي شيما وذلك في العام 1320 م.

في عهد كان يحكم فيه هوجو تاكاتوكي البلاد بقوة مطلقة، كان محاربٌ اسمه أوريبي شيما. وقد شاء سوء طالع أوريبي أنه أثار غضب هوجو تاكاتوكي فما وجد نفسه إلا منفياً إلى إحدى جزر أوكي التي كانت تُعرَف في ذلك الحين بكاميشيما (الجزيرة المقدّسة)، وذلك حسبما أخبرني به الراوي لكنني أعتقد أن الجزيرة هي نيشي نو شيما (جزيرة الغرب أو الجزيرة الغربية[1]).

وكان لأوريبي ابنة فائقة الجمال، في الثامنة عشرة من عمرها، وكان يحبّها أيما حب وهي تبادله المشاعر نفسها، لكن النفي والفراق زرعا في قلبهما بؤساً وشقاء. وكان اسمها الآنسة توكويو.

(1) عندما كتبت هذه القصّة، أدركت أنه ثمة جزيرة صغيرة اسمها كاميشيما تقع بين جزيرتَيْ أوكي الرئيسيتين، جنوب غرب الجزيرة الشرقية (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

بقيت توكويو في منزلها القديم في مقاطعة شيما تبكي وتنتحب من الصباح حتى المساء ومن المساء حتى الصباح. لم تقوَ على الفراق فقرّرت أن تخاطر وتحاول الوصول إلى والدها أو تموت محاولةً الوصول إليه. كانت فتاةً شجاعة مثل معظم فتيات مقاطعة شيما، فالمرأة في تلك المقاطعة كانت تجمعها بالبحر علاقة وثيقة. وعندما كانت توكويو طفلةً، كانت تهوى الغطس مع النساء اللواتي اعتدن جمع أصداف الرخويات ومحار اللؤلؤ، فكانت تخوض معهنّ المغامرات الخطرة على الرغم من صغر سنّها وضعف جسمها، ولم يجد الخوف لقلبها سبيلاً.

قرّرت توكويو اللحاق بوالدها فباعت ممتلكاتها وانطلقت في رحلتها الطويلة إلى مقاطعة هوكي النائية، فشقّت طريقها في البحر ووصلت بعد أسابيع عدّة إلى مكان اسمه أكازاكي بالكاد تمكن رؤية جزر أوكي منه. وعلى الفور، انطلقت تحاول إقناع الصيّادين بأخذها إلى الجزر، لكن لم يبقَ معها سوى القليل من المال، ولم يكن مسموحاً لأحد في ذلك الحين الرسوّ على جزر أوكي، ولا حتى زيارة الأشخاص المنفيين إليها. ضحك الصيادون من توكويو وقالوا لها إنه من الأفضل لها أن تعود أدراجها. لكن الفتاة الشجاعة أبت أن تستسلم. فاشترت ما

Twitter: @ketab_n

استطاعت شراءه من طعام، وفي المساء توجّهت إلى الشاطئ، وانتقت القارب الأخفّ، ودفعته إلى الماء بكلّ ما أوتيت يداها الضعيفتان من قوّة. ومن حسن حظّها هبّت نسمات قويّة وقد كان تيّار المياه يجري بما يشتهيه قاربها. وفي مساء اليوم التالي تكلّلت جهودها بالنجاح بعد أن لامس قاربها اليابسة.

بحثت الآنسة توكويو عن مأوىً، واستلقت لتبيت ليلتها. وفي صباح اليوم التالي، استيقظت وهي أكثر نشاطاً، وتناولت ما تبقّى من طعامها، وبدأت تستعلم عن أخبار والدها. كان صيادٌ أول من التقت به، وقال لها: «كلا، ما سمعت عن والدك يوماً، ولو قبلتِ نصيحتي، فلا تسألي عنه إن كان منفياً إذ قد يوقعك ذلك في الكثير من المتاعب ويؤدّي بوالدك إلى الموت!».

جالت المسكينة توكويو في أرجاء المكان، تعيش ممّا يمنّ عليها به الناس، من دون أي خبر عن والدها.

في مساء أحد الأيام، وصلت إلى رأس صخري في الماء وعليه مزار، فانحنت أمام بوذا تتلو الصلوات وتطلب المساعدة في العثور على والدها. بعد ذلك، استلقت لتبيت ليلتها في ذلك المكان، فهو مكان مقدّس هادئ، محميّ من الرياح التي تعصف في جزر أوكي حتى في فصل الصيف (وقد جرت أحداث القصّة في الثالث عشر من يونيو).

Twitter: @ketab_n

ولم تمض ساعة على استسلام توكويو للنوم، حتى سمعت بدلاً من تكسّر الأمواج على الصخور، صوت تصفيق وبكاء فتاة مرير. نظرت فرأت تحت ضوء القمر النيّر فتاة في الخامسة عشرة من عمرها تبكي بمرارة، وإلى جانبها رجلٌ بدا حارس المزار أو الكاهن. كان يصفّق بيديه ويتمتم كلمات «نامو أميدا بوتسوس»، وكان كلاهما متّشحاً بالبياض. عندما انتهيا من تلاوة الصلوات، أخذ الكاهن الفتاة إلى حافة جرف عال، وكان على وشك دفعها إلى البحر عندما أسرعت توكويو لإنقاذها، وأمسكت بذراعها في اللحظة المناسبة. نظر الكاهن إلى توكويو متعجّباً، من دون أن تظهر عليه أي معالم غضب، وقال لها: «لابدّ من أنك غريبة عن هذه الجزيرة الصغيرة، وإلاّ لكنت عرفتِ أن ما أفعله لا ينبع من رغبة منّي أو من أي شخص منا. لكن من سوء حظّنا أن إلهاً شريراً، ندعوه يوفوني نوشي قد لعن هذه الجزيرة. اتّخذ من قعر البحر مسكناً له، وأراد في الثالث عشر من يونيو من كل سنة، وهو يوم الكلب، أن نرمي إليه بفتاة لم تبلغ الخامسة عشر من عمرها.، بين الساعة الثامنة والتاسعة مساءً. وفي حال غفل أهل الجزيرة عن هذا الطلب، يغضب يوفوني نوشي وتهبّ العواصف وتُغرِق الصيادين. فالتضحية بفتاة واحدة هو خيرٌ من غرق الكثير من الصيادين. وفي السنوات السبع الأخيرة، كان من واجبي أنا الإشراف على هذه التضحية، هذا ما قاطعته للتو».

Twitter: @ketab_n

استمعت الآنسة توكويو إلى شرح الكاهن ثم قالت: «يا حضرة المبجّل، إن كان ما تقوله صحيحاً فهذا يعني أن الحزن يعمّ أرجاء الجزيرة. دع هذه الفتاة تذهب، علها تتوقّف عن البكاء، فحزني أشدّ من حزنها، وبنفسي سأضحّي بدلاً منها وأرمي بنفسي إلى يوفوني نوشي. أنا ابنة المحارب أوريبي شيما المنفيّ إلى هذه الجزيرة والحزن يتملك روحي. وقد أتيت إلى هذه الجزيرة بحثاً عنه لكن دون جدوى فهو إما محروس جيداً وإما مختبئ أفضل اختباء. انفطر قلبي من فراقه وليس لي غيره أعيش من أجله، وسيسرّني أن أنقذ حياة هذه الفتاة. أرجو منك أن تأخذ هذه الرسالة التي كتبتها لوالدي، وكل ما أطلبه منك هو أن تحاول تسليمه إياها».

أخذت توكويو الثوب الأبيض من الشابة وارتدته. ثم ركعت أمام تمثال بوذا، وصلّت طالبةً القوة والشجاعة لقتل الإله الشرير يوفوني نوشي. استلّت خنجراً صغيراً جميلاً كان لأحد أجدادها، وحملته بين أسنانها اللؤلؤية، ثم غطست في مياه البحر الهائج واختفت ترافقها عيون الكاهن والفتاة الأخرى بتعجّب وإعجاب، وشعور بالامتنان ينبع من قلب الفتاة.

Twitter: @ketab_n

كما ذكرنا في بداية القصّة، نشأت توكويو بين الصيادات في قريتها في شيما، وكانت سبّاحةً ماهرة، ملمّةً في المبارزة والمصارعة اليابانية، كما هي حال الكثير من الفتيات في أيامنا هذه.

راحت توكويو تسبح وتغوص إلى أعماق البحر، تحت ضوء القمر النيّر، سبحت وسبحت بين الأسماك الفضيّة حتى وصلت إلى قعر البحر، فوجدت نفسها أمام كهف يتلألأ من الوهج الساطع من فتحات أصداف الرخويات ومحار اللؤلؤ. نظرت توكويو فرأت رجلاً داخل الكهف. فاقتربت دون وجل، حاملة الخنجر ومتحضّرة للقتال حتى الموت. تقدّمت توكويو من يوفوني نوشي، الإله الشرير الذي أخبرها الكاهن عنه، إلا أن معالم الحياة لم تكن ظاهرة على هذا الإله، وقد رأت توكويو أنه ليس إلهاً بل تمثالاً خشبياً يجسّد هوجو تاكاتوكي، الرجل الذي نفى والدها. للوهلة الأولى تملّك توكويو الغضب والرغبة في صبّ انتقامها على التمثال، لكن في النهاية ما النفع من ذلك؟ فالسعي إلى الخير خيرٌ من السعي للشرّ. لذا قرّرت توكويو إنقاذ التمثال الذي قد يكون من صنع شخص عانى على يد هوجو تاكاتوكي تماماً مثل والدها. لكن هل كان ذلك ممكناً؟ نعم، لا بل أكثر من

Twitter: @ketab_n

ممكن. حلّت توكويو حزامها وربطته حول التمثال وأخرجته من الكهف. صحيحٌ أن المياه كانت تملأه وأنه كان ثقيلاً لكن الأشياء تكون أخفّ في الماء منه خارجها، وما كانت توكويو تخشى شيئاً فسحبت التمثال وتوجّهت به إلى سطح الماء، وقد كانت مستعدّة لحمله على ظهرها. لكن حصل ما لم يكن في الحسبان.

رأت توكويو مخلوقاً فظيعاً يومض على شكل ثعبان ذي قوائم والحراشف الصغيرة تغطّي ظهره وجانبيه، رأته يخرج ببطء من أعماق الكهف. وكان طول هذا الثعبان نحو سبعة وعشرين شاكو (زهاء ستة وعشرين قدماً) أما عيناه فكانتا متوهّجتين.

استلّت توكويو الخنجر وقد تجدّد عزمها وزاد، وكانت متأكّدةً أن هذا هو الإله الشرير يوفوني نوشي الذي يطالب برمي فتاة له كل سنة. لا شكّ أنه اعتقد أنها الفتاة المنشودة، لكنها ستريه من تكون، وستقتله لو استطاعت، فتتخلّص من تلك التضحيات السنوية بالعذارى القليلات على تلك الجزيرة الفقيرة.

خرج الوحش ببطء، وكانت توكويو تستجمع قواها للقتال. وقف المخلوق الشرير على بعد ستة أقدام منها، فتقدّمت منه وغرزت الخنجر في عينه اليمنى، فارتبك وهم بدخول الكهف لكن توكويو فاقته حنكةً وذكاءً. وكان الوحش بطيء الحركة،

Twitter: @ketab_n

يعميه فقدان عينه اليمنى والدم المتدفّق إلى عينه اليسرى، فاستغلّت توكويو الشجاعة الرشيقة ذلك وراحت تهاجمه بكل ما أوتيت من قوّة. توجّهت إلى يساره وتمكّنت من طعنه في قلبه، وأدركت أنه لن ينحو من تلك الضربة فوقفت في وجهه تمنعه من دخول الكهف إذ أن الظلام في الداخل لن يكون لمصلحتها. وبالفعل، لم يتمكّن يوفوني نوشي من رؤية سبيله لدخول الكهف، وما كاد يلتقط بعض الأنفاس حتى لفظ أنفاسه الأخيرة، غير بعيد عن مدخل الكهف.

فرحت توكويو بالنجاح الذي حقّقته، إذ تمكّنت من قتل الإله الذي كلّف أهل الجزيرة فتاة كلّ سنة. وفكّرت أنه عليها سحب التمثال الخشبي والوحش إلى سطح الماء، وقد نجحت بذلك بعد محاولات عدّة، بعد أن أمضت حوالي نصف ساعة تحت الماء.

في هذا الوقت، كان الكاهن والفتاة ما زالا يحدّقان في المياه التي اختفت فيها توكويو، يتملّكهما العجب من شجاعتها. كان الكاهن يصلّي على روحها، والفتاة تشكر الآلهة. ويالشدّة دهشتهما عندما شاهدا جسداً يكافح للوصول إلى وجه الماء بطريقة غريبة! لكنهما لم يدركا حقيقة ما جرى إلى أن صرخت الفتاة الصغيرة يا أبتِ، هذه هي الفتاة التي رمت نفسها في الماء بدلاً مني! عرفتها من ثوبي الأبيض،

Twitter: @ketab_n

لكن يبدو أن معها رجلاً وسمكة كبيرة.

أدرك الكاهن أن هذه الفتاة ليست سوى توكويو فمدّها بكلّ ما أمكنه من المساعدة. فنزل إلى الصخور وسحبها نحو الشاطئ، ثم ربط حزامه حول الوحش ووضع تمثال هوجو تاكاتوكي على صخرة لا تطاولها الأمواج.

ولم يمضِ طويلاً حتى وصلت المساعدة ونُقِلَ الجميع إلى مكان آمن في القرية. كانت توكويو بطلة الساعة، وقد أخبر الكاهن القصّة كاملةً لتاميوشي، حاكم الجزيرة في ذلك الوقت، ونقل هذا الأخير بدوره القصّة إلى هوجو تاكاتوكي، حاكم مقاطعة هوكي التي تشمل جزر أوكي.

كان تاكاتوكي يعاني مرضاً غريباً استعصى على أطباء ذلك العصر. وكان واضحاً من التمثال الخشبي أن سقم تاكاتوكي ليس سوى لعنة أنزلها به أحد الذين لحق بهم ظلمه، فنحت تمثالاً يجسّده، ولعنه ثم وضعه في قعر البحر. أما الآن وقد انتُشِل التمثال من قعر البحر، فقد شعر تاكاتوكي أن اللّعنة قد رفعت عنه وأن حاله قد تحسّنت. وعندما سمع أن بطلة القصّة هي ابنة عدوّه اللدود أوريبي شيما المعتقل لديه، أمر بإطلاق سراحه فعمّت الفرحة أرجاء المكان.

Twitter: @ketab_n

كانت تلك اللعنة على تمثال هوجو تاكاتوكي السبب في وجود الإله الشرير يوفوني نوشي الذي كان يطلب التضحية بفتاة في كل سنة، لكنه لقي حتفه منذ ذلك الحين وما عاد أهل الجزيرة يخشون العواصف. أما أورييي شيما وابنته الشجاعة الآنسة توكويو فقد عادا إلى بلدتهما في مقاطعة شيما حيث رحّب بهما السكان أيما ترحيب، وقد أعادا بشعبيتهما الحياة إلى طبقتهما الفقيرة التي كانت تفرض على المنتمين إليها العمل من دون مقابل.

عمّ السلام أرجاء جزيرة كاميجيما (الجزيرة المقدّسة) في جزر أوكي، فما عادت تُقدّم العذارى ليوفوني نوشي في الثالث عشر من يونيو، وقد دُفِنَت جثته في المزار عند الرأس حيث بدأت قصتنا. وقد شُيِّدَ مزارٌ آخر لتخليد ذكرى هذا الحدث وأُطلِقَ عليه اسم قبر ثعبان البحر.

أمّا تمثال هوجو تاكاتوكي الخشبي، فبعد أن نُقِل من مكان إلى آخر، استقرّ في النهاية في هونسوجي في كاماكورا.

Twitter: @ketab_n

رأس سيف المرأة[1]

في مقاطعة هيغو مجموعة جزر كبيرة تشكّل مع البرّ الرئيسي بحاراً داخلية وخلجاناً عميقة وقنوات ضيقة، تحت اسم أماكوزا. فكانت قريةٌ اسمها أماكوزا مورا، وبحرٌ اسمه أماكوزا أومي، وجزيرةٌ اسمها أماكوزا شيما، أما أكثر المعالم بروزاً فقد كان رأس جوكن زاكي الممتدّ في بحر أماكوزا.

ويُحكى أنه في العام 1577، أصدر حاكم المقاطعة أمراً يُلزِم كل خاضع لحكمه بالالتحاق بالمسيحية وإلا كان مصيره النفي.

وفي خلال القرن التالي، انقلبت الحال، وصدر أمرٌ بإعدام المسيحيين جميعاً. فقُتِلَ عشرات آلاف المسيحيين وجُمِعَت رؤوسهم لتُدفن في ناغازاكي وشيمابارا وأماكوزا.

إلا أن لا علاقة لذلك بقصتي. من الممكن أنه في الوقت الذي التحق به أهل أماكوزا بالمسيحية، كان السيف الذي سنتحدّث

(1) لا يقل عنوان هذه الأسطورة غرابةً عن القصّة نفسها، وقد أخبرني إياها رجلٌ اسمه فوكوغا غالباً ما يقصد الساحل الجنوبي بحثاً عن اللؤلؤ والمرجان (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

عنه في قصتنا، والموجود في أحد المعابد، كان مع الآلهة في قعر البحر إلى أن وجده صائد لؤلؤ أو مرجان في عهد بونروكو الذي دام منذ العام 1592 حتى العام 1596. فكان من الطبيعي أن تنشأ قصةٌ عن هذا السيف، وإليكم القصّة.

لم يحمل رأس جوكن زاكي (رأس سيف المرأة) اسمه هذا منذ الأزل. ففي السنوات التي سبقت عهد بونروكو، حمل اسم فودوزاكي (فودو هو إله القوة، ودائماً ما يتمّ تصويره محاطاً بالنار وفي يده سيف) أو رأس فودو. إليكم السبب وراء تغيير اسم هذا الرأس.

كان سكان أماكوزا يعتاشون مما يصطادونه من البحر، إلا أن سنتين من الشحّ ضربتا عهد بونروكو فما عادت الأسماك تقصد البحار ولا الخليج، فنزلت بالسكان شدّة ما بعدها شدّة، وأصابتهم المجاعة، ولحق ببلدهم الدمار. صاروا يلقون بشباكهم ويسحبونها من دون أن تعلق فيها أي سمكة مهما صغر حجمها. وقد ازدادت الأمور سوءاً فما عاد سكان أماكوزا يرون الأسماك تسبح حتى خارج خليجهم، وكانوا يسمعون أصواتاً غريبة صادرة من قعر البحر عند رأس فودو، إلا أنهم لم يعيروها اهتماماً كبيراً فاليابانيون معتادون على الزلازل.

Twitter: @ketab_n

اقتصرت معرفة الناس على أن الأسماك اختفت لكنهم لم يعرفوا السبب وراء اختفائها إلى أن جاء ذات يوم صياد عجوز موقّر وقال: «أخشى يا أصدقائي أن الأصوات التي نسمعها عند رأس فودو لا علاقة لها بالهزات الأرضية بل هي ناتجة عن غضب إله البحر».

وذات مساء، رست السفينة الشراعية تسوكوشي مارو التي يملكها تارادا في فودوزاكي.

أُنزِل الشراع ورست السفينة، فأحضر الطاقم أسرّته وافترش ظهر السفينة (لشدّة الحرّ في تلك الليلة). وعند منتصف الليل تقريباً، استيقظ القبطان على صوت قرقعة غريبة نابعة من قعر البحر. ويبدو أن هذه القرقعة كانت صادرة من تحت المرساة، فقد أخذ الحبل يهتزّ أيما اهتزاز. وقال تارادا إن هذا الصوت ذكّره بهدير صوت الشلال في مجرى ناروتو بين جزيرتي آوا وآواجي. فجأةً رأى عند مقدّمة السفينة فتاةً جميلةً مرتدية ثوباً حريرياً أبيض، لكنها لم تبدُ حقيقية نظراً للضباب الذي كان يلفّها.

لم يكن تارادا جباناً لكنه أيقظ رجاله لشدة تعجّبه، وحالما عادوا إلى صوابهم، تقدّم من الفتاة، وعندما وصل على بعد عشرة

Twitter: @ketab_n

أو اثنتي عشرة قدم منها، توجّهت إليه بأشجى الأصوات قائلةً: «ليت باستطاعتي العودة إلى هذا العالم! هذه أمنيتي الوحيدة!».

تملّك تارادا الذّعر والدّهشة، فوجد نفسه راكعاً يصلّي عندما سُمِع صوت هدير مياه من جديد، واختفت الفتاة المتّشحة بالبياض في البحر.

في صبيحة اليوم التالي، توجّه تارادا إلى الشاطئ ليسأل سكان أماكوزا إن سبق لهم أن سمعوا هذا الصوت.

فأجابه كبير القرية: «منذ عامين ما كنا نسمع الأصوات التي نسمعها الآن بصورة يومية عند رأس فودو، وقد كانت الأسماك وافرةً من قبل، لكننا ما رأينا يوماً طيف الفتاة التي تقول إنك رأيتها مساء أمس. فلابدّ من أنه شبح فتاة مسكينة كانت قد غرقت، أما الصوت الذي نسمعه فلابدّ من أنه صادر عن إله البحر الذي يملأه الغضب لأن رفاتها ما زالت في هذا الخليج حيث كانت الأسماك تحبّ أن تسبح قبل أن يلوّث جسدها قعر البحر».

تشاور الصيادون وتوصّلوا إلى أن كبير القرية على حق، وأن فتاةً قد غرقت في ذلك الخليج، وأن جثتها لوّثت قعر البحر، وأن

Twitter: @ketab_n

شبحها ظهر على سفينة تارادا، وأن الصوت ليس سوى صوت إله البحر الذي ثارت ثائرته لأن الأسماك ما عادت تزور الخليج بسبب تلوّثه.

أصبح الأمر واضحاً وضوح الشمس: «على أحدهم الغوص إلى أعماق البحر لسحب الجثة أو الرفات. وهذه المهمة ليست بسهلة، ولا هي مسلّية، فهي تقتضي سحب جثّة رقدت في قعر البحر أكثر من سنة».

لم يتطوّع أحدٌ للغوص، فاقترح أهل القرية اسم رجل ماهر في السباحة، رجل لا معنى لحياته ولا قيمة، فما من أحد يرغب بالزواج منه ولا أحد يعيره اهتماماً. كان اسمه سانكيشي أو (كما يدعونه) أوشي نو سانكيشي، أي سانكيشي الأحمق. كان في السادسة والعشرين من عمره، وكان في الصّدق مرجعاً، وللمؤمنين مثالاً، يتردّد إلى المعابد والمزارات لكنه يبقى في منأى عن الناس إذ أن سقمه كان يُبعِدهم عنه. حالما سمع الرجل المسكين بضرورة سحب الجثّة الهامدة من قعر الخليج، سارع إلى التطوّع للقيام بهذه المهمّة أو الموت في سبيل المحاولة. فما قيمة حياته مقارنةً مع حياة مئات الصيادين الذين يعتاشون مما يصطادونه من أسماك؟

Twitter: @ketab_n

تشاور الصيادون فيما بينهم ووافقوا على السماح لأوشي نو سانكيشي بالمحاولة في اليوم التالي، وإلى ذلك الحين كان سانكيشي البطل الأكثر شعبية.

في اليوم التالي، كان المدّ منخفضاً، فتجمّع أهل القرية على الشاطئ لتشجيع سانكيشي الأحمق. ركب هذا سفينة تارادا، وبعد أن ودّع أصدقاءه القلائل، قفز عن ظهر السفينة وغاص في أعماق البحر.

سبح سانكيشي وسبح إلى أن بلغ قعر البحر، مروراً بتيارات الماء الساخنة والباردة. نظر في كلّ اتجاه وجال المكان من دون أن يقع نظره على أي جثّة أو رفات. في النهاية رأى صخرةً ناتئةً ولمح عليها ما يشبه سيفاً ملفوفاً بقماش مطرّز قديم. فاقترب منه وأمسك به ليدرك أنه سيف حقيقي، حلّ الحبل عن القماش وسحب السيف ليجده يلمع في يده من دون أي أثر للصدأ عليه.

فكّر سانكيشي أنه يقال إن اليابان بلد السيف وفيها روحه تسكن. فلابدّ من أن تكون إلهة السيف هي من تصدر صوت الهدير الذي يخيف الأسماك عندما تصعد إلى سطح الماء.

Twitter: @ketab_n

شعر سانكيشي أنه حصل على كنز نادر، فلم يتوانَ عن الصعود إلى وجه الماء، حيث تمّ سحبه على الفور إلى ظهر السفينة الشراعية تسوكوشي مارو وسط تشجيع أهل القرية وأصدقائه. وكان قد أمضى وقتاً طويلاً في الماء، فألمّ به البرد الشديد مما أدّى إلى فقدانه الوعي. فأُشعِلت النيران وراحوا يفركون جسمه حتى استعاد وعيه. تفحّص رئيس القرية ناروز تسوشيمانوكامي السيف فوجد أنه بالرغم من جماله وتميّزه لا يحمل أي اسم، فاعتبر رئيس القرية أنه كنز مقدّس. فطلب تشييد مزار لفودو يُحفَظ فيه السيف لحماية القرية من أي كارثة أو مصيبة. جُمِع المال وشُيِّدَ المزار تحت إشراف أوشي نو سانكيشي الذي عاش بعد ذلك حياةً طويلةً هانئة.

عادت الأسماك إلى الخليج، فروح السيف ما عادت غاضبةً لوجودها في قعر البحر.

Twitter: @ketab_n

فوز يوغودايو في المعركة

في عهد الإمبراطور شيراكاوا الذي دام منذ العام 1073 حتى العام 1086، عاش جنرالٌ اسمه يوغودايو. بنى قلعةً خاصةً به، وأسّس جيشاً له في براري ياماتو، غير بعيد عن جبل كازاغي، حيث خيّم الإمبراطور غودايغو في العام 1380 وسط القلاع الصخرية نفسها ولقي حتفه. وما زال حتى اليوم كل من يتواجد في المكان حيث تمرّ السكة الحديدية في كازاغي، في وادي كيزوغاوا، يُذهَل من روعة المشهد. في هذا الموضع بنى يوغودايو قلعته. وبعد مرور بضعة أشهر، هاجمه شقيق زوجته الذي يكرهه أيما كراهية، وتغلّب عليه تاركاً له ما لا يتجاوز العشرين محارباً على قيد الحياة. فهرب يوغودايو معهم إلى جبل كازاغي، واختبأوا في كهف يومين كاملين خوفاً من أن يجدهم شقيق زوجته. وفي اليوم الثالث، أدرك يوغودايو أنه غير مُلاحَق، فخرج يمتّع نظره بالمشهد الخلاّب. وفجأةً رأى نحلةً عالقةً في خيوط عنكبوت تحاول الهروب جاهدةً، لكن محاولتها باءت بالفشل لا بل زادت

Twitter: @ketab_n

الأمور سوءاً. أشفق يوغودايو على النحلة، فما كان منه إلا أن حرّرها من أسرها وتركها تطير قائلاً: «طيري أيتها النحلة! طيري نحو الحريّة، طيري نحو القفير. ليت باستطاعتي أن أطير مثلك. إن تحرير الأسرى يزرع في القلب البهجة حتى عندما نكون تحت رحمة أحد الأعداء، كما هو حالي».

في تلك الليلة، حلم يوغودايو أن رجلاً متّشحاً بالأسود والأصفر ألقى التحيّة عليه وقال له: «سيدي، جئت أقول لك إنني أرغب في مساعدتك وإتمام مهمّتي التي أتيت من أجلها صباح اليوم».

فأجاب يوغودايو في حلمه: «ومن تكون حضرتك؟».

قال له الرجل: «أنا النحلة التي حرّرتها من خيوط العنكبوت، وأنا ممتنّ لك أيما امتنان، وقد فكّرت بخطّة تخوّلك التغلّب على عدوّك واستعادة ثروتك الضائعة».

فأجاب يوغودايو: «كيف لي أن أتغلّب على عدوّي وما بقي معي أكثر سوى حفنة من المحاربين؟».

فكان الجواب: «هذا أمر بسيط، كل ما عليك فعله هو اتّباع تعليماتي».

Twitter: @ketab_n

قال يوغودايو: «لا أسوار يختبئ رجالي خلفها للقتال. من المستحيل أن أتمكّن من مهاجمة عدوّي».

ابتسم الرجل النحلة وأجاب: «لا حاجة لك إلى الأسوار، كلّ ما عليك فعله هو أن تدع العدوّ يهاجمك، وبمساعدة عشرات الملايين من نحلات ياماتو، لابدّ من أن تلحق الهزيمة بأعدائك. اسمع! عندما تحدّد الزمان والمكان اللذين ستقاتل فيهما شقيق زوجتك، ابنِ منزلاً من خشب، واملأه بمئات الجرار والأوعية الفارغة، لكي نأتي نحن النحلات ونختبئ داخلها. عليك أن تسكن في هذا المنزل مع رجالك العشرين وتحرص على أن يعلم عدوّك بمكانك وأنك تستعدّ لمحاربته. عندئذ لن يتأخّر في مهاجمتك، وحينئذ سنهبّ نحن النحلات بالملايين لمساعدتك. أن انتصارك لمؤكّد، لا تخشَ شيئًا وافعل ما أمليه عليك».

أراد يوغودايو الردّ على النحلة لكنها اختفت وأفاق من حلمه. نادى على رجاله وأخبرهم عن حلمه، فاتفقوا أن ينقسموا كل اثنين على حدى ويذهبوا إلى مسقط رأسهم، ليجمعوا ما أمكنهم من رجال ويعودوا إلى الكهف بعد ثلاثين يوماً. بقي يوغودايو وحده، وبعد ثلاثين يوماً التقوا مجدداً في الكهف في كازاغي ياما، وقد بلغ عددهم الثمانين. عمل

Twitter: @ketab_n

الرجال بنصيحة النحلة وهبّوا يبنون منزلاً خشبياً عند مدخل الوادي واضعين فيه حوالي الألفَيْ جرّة. وما كادوا ينتهون من بناء المنزل حتى وصلت النحلات بعدد كبير ناهز المليوني نحلة. بعد ذلك، أُرسِلَ أحد رجال يوغودايو لينشر خبر استعداد هذا الأخير لمقاتلة شقيق زوجته.

لم يمضِ يومان حتى وصل شقيق زوجته ليهاجمه.

بدأ يوغودايو القتال مستهتراً، ليجرّ العدو إلى القتال بكامل قوته ومن دون أي حذر. وما كاد مقاتلو العدو يظهرون جميعاً حتى خرجت النحلات من مخابئها وطارت أسراباً أسراباً، في كل حدب وصوب، لا يقف في وجهها عائقٌ. فما كان من رجال العدو إلا أن استداروا جميعاً ولاذوا بالفرار، تطاردهم النحلات ورجال يوغودايو الثمانون الذين قضوا بمساعدة أكثر من النحل على كلّ رجل من رجال العدو، ففقد البعض منهم صوابه وأصابه الجنون.

ألحق يوغودايو الهزيمة بعدوّه واستعاد قلعته، وتخليداً لهذه الذكرى، شيّد معبداً صغيراً خلف كازاغي ياما، جُمِعَت وأُحرِقَت فيه النحلات الميتة. وكان يوغودايو يقصد هذا المعبد كل سنة للعبادة والصلاة.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والرياضيات / التكنولوجيا
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة

ISBN 978-9948-01-360-0

كلمة
KALIMA